الحديث المفيد

مع

الاستاذ الجديد

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٢٧

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

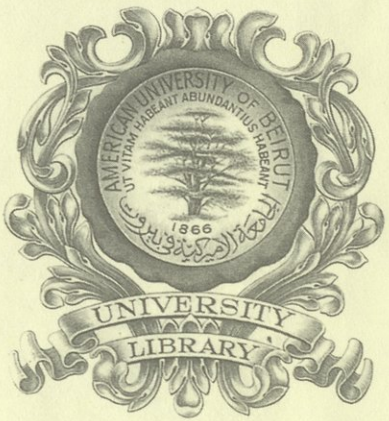

A.U.B. LIBRARY

CA
371.3
H917hA
c.1

الحديث المفيد

مع

الاستاذ الجديد

يتضمن محاضرات في التربية المدرسية
طلب من مؤلفهِ تقديمها
في مواقف مختلفة

AUB faculty or AUB related publication

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٢٧

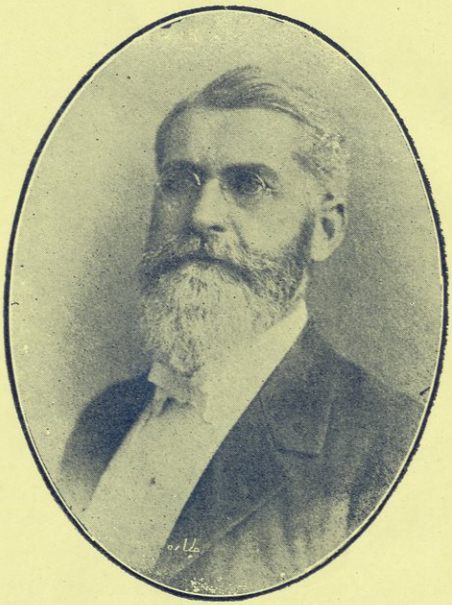

الدكتور جورج فورد

اهداء الكتاب

الى رجل الدين والعلم والفضل

الدكتور جورج فورد الاميركاني

اذا نظرت اليك ياسيدي في مواقف الوعظ والارشاد تجلت امامي التقوى والغيرة والوقار مع غزارة المادة وطلاوة الاسلوب. ورأيت في السامعين الاقبال واللذة والخشوع

واذا أشرتُ الى علمك العامل يكفيني ان ألفت النظر الى ما بذلتهُ من المال وتحملتهُ من المشاق في البحث عن آثار الاقدمين وتأليف متحف منها شهد العلماء والعظماء الذين اموهُ انهُ من اثمن المتاحف التي انفرد شخص في جمعها. هذا فضلاً عن تآليفك النفيسة التي تنير الاذهان وتغذي القلوب

واذا اشدتُ بذكر افضالك تتمثل لديَّ مآتيك الحسان ابّان كوارث الحرب العظمى اذ كنت مع عسر الحال لا تذخر وسعاً في تدبير ما تجبر بهِ قلوباً حطمتها المجاعة المهلكة

فالى سامي مقامك ارفع هذا الكتاب راجيًا ان ترمقهُ بعين الرضاء والقبول

تلميذك

نسيم الحلو

بيروت في ٢ت٢ سنة ١٩٢٦

ديباجة الكتاب

من مضي اكثر من عشرين سنة وضعت كتاباً للتلميذ طبع اولاً وثانياً . ولم يدُر في خلدي ان اتوخى وضع كتاب ثانٍ «للاستاذ» لكنَّ الاسباب تهيأت لتأليفهِ على هذه الكيفية : دُعيت الى تقديم محاضرات تهذيبية مختلفة بعضها في مؤتمر المعلمين الذي التأم في صيف ١٩٢٤ في سوق الغرب ومنها في مؤتمر لتلامذة المدارس في طرابلس ١٩٢٥ وهكذا في مؤتمر آخر للتلاميذ في صيدا ١٩٢٦ . ولما أُعطيتُ إجازة سنة كاملة أُعفيتُ فيها من الادارة والتعليم قصدت الاصطياف في بلدة شملان من لبنان حيث المناخ جيد والمناظر جميلة والسكينة شاملة . فلما وجدت مع موافقة المكان متسعاً من الوقت خطر لي ان اضع كتاباً للاستاذ المبتدىء او بالحري ان اجمع شتات تلك المحاضرات ليتألف منها الكتاب المذكور . وذلك بمراجعتها وتنسيقها وادغام ما ائتلف من مواضيعها وحذف ما تكرر ورودهُ واضافة ما يقتضيهِ التحام المواد ببعضها . وجعلت اسمهُ "الحديث المفيد مع الاستاذ الجديد" كما دعوت الكتاب الاول "رفيق التلميذ" . ولما كان الشيء بالشيء يذكر ألحقتهُ بخاتمة في تربية الاولاد البيتية وهي محاضرة ايضاً القيتها في مجمعٍ ضمَّ بعض خدمة الدين والعلم في بلدة راشيا الفخار من اعمال حاصبيا ١٩٢٤ . فعسى ان لا يضيع تعبي عبثاً في ما قصدتهُ من خدمة اخواني الحديثي العهد في خدمة التهذيب كما واني ارجو من اساتذة هذا الفن الذين تطفلت على موائدهم ان يتخذوا اخلاصي و بساطة اختباري شفيعاً لدى سعة علمهم فيسبلوا ذيل المعذرة على ما يجدونهُ من الزلات و يقيلوا ما يرونهُ من العثرات . واتقدَّم بالرجاء الى كل مطالع لبيب ان ينبهني الى الاصلاح من اي وجهٍ كان ولهُ الشكر سلفاً . والله الهادي الى الصواب موئلنا واليهِ المآب

نسيم الحلو

تمهيد

يتضمن نظراً عاماً في التهذيب المدرسيّ

الفصل الاول

في ان التهذيب اساس الترقي

في عالم الطبيعة عاملان مستمرّان هما عامل البناء وعامل الهدم. وكما يجري عملهما في عالم الطبيعة يجري ايضاً في عالم الآداب. ولكنهما في هذا يسميان عامل الخير وعامل الشرّ. والانسان مع كونهِ داخلاً تحت هذا الحكم العامّ طبيعياً وادبياً لهُ تأثير في التكييف والتحويل بما أُعطيه من فكرةٍ نيرةٍ وعقلٍ مميز ونظر في عواقب الامور. على ان عمل الانسان وتأثيرهُ في مداخلتهِ هذه قد يؤُولان الى الخير او الشرّ. الهدم او البناء حسب القصد والحكمة — فاذا كان يتوقف على حالة الانسان العمران والخراب الخير والشرّ كم هو هامٌّ ان يعتنى بانارة عقلهِ وتثقيف اخلاقهِ منذ نعومة اظفارهِ ليمال بهِ نحو الفضيلة والاعمال النافعة للرقيّ والنجاح في الحال والمآل. فان ذلك اوفى

لبلوغ القصد من ان ننتظر حتى يحدث الخلل والخراب فنسعى لسدّ الثلمة واصلاح الحال بعد ان يتسع الخرق على الراقع . وهذه البغية لا تنال الاّ بتربية الناشئة الجديدة وتهذيب اخلاق الاحداث تهذيباً حقيقياً في البيوت وفي المدارس

يقول قائل ان ترقي البلاد يتوقف على التجارة والصناعة والزراعة . ونحن نجاري هذا القائل في رأيهِ ولكنا نسأَلهُ ان يمعن النظر في ما نذهب اليهِ نحن . اعني ان التهذيب العقلي والادبي أَهمُّ اركان هذا الترقي . نعم ان النظر في المواد الجامدة والغير العاقلة في اعمال الصناعة والزراعة والتجارة امرٌ لازم ومفيد ولكن البحث في ما يخصّ العقل الذي ساد بهِ الانسان المخلوقات الارضية والنفس الخالدة التي بها حسب الانسان على مثال خالقهِ يسموجداً على ما سواهُ . قال ابو الفتح البستي في نونيتهِ

أَقبل على النفس فاستكمل فضائلها فانت بالنفس لا بالجسم انسانُ

ثم لكي تصير الصناعة والزراعة والتجارة عوامل حقيقية لترقية البلاد يقتضي ان تتأَسس وترتكز على قوانين علمية صحيحة ويجري التعامل بها بموجب المبادىء الاخلاقية الجيدة

الفصل الثاني

اعتراضات على حالة التهذيب الحاضرة والنظر فيها

(١) نظرية الامور التهذيبية — يواجهنا المعترض بقولهِ : ان الاحوال التهذيبية الحاضرة مقتصرة على النظريات خلافاً لما هي عليه الصناعة والزراعة فان اعتمادهما على الامور العملية . وترقي البلاد يستند الى ما هو عملي لا الى ما هو نظري — وعليهِ نجيب : ان نظريات العلم والتهذيب انما هي خطط ورسوم للاعمال الصحيحة النافعة . ولا يحسب العلم كاملاً الاَّ اذا اقترن بالعمل وكذلك اذا اقتصرت الآداب على النظريات كانت قاصرةً وقشوراً لا خير فيها . فالتهذيب الحقيقي عامل قوي في اسعاد البشرية

(٢) أَنفة المتعلمين من الاعمال — كثيراً ما نسمع بآذاننا ونرى بعيوننا ونلمس بايدينا حالة اكثر المتعلمين في بلادنا الذين تجد الواحد منهم

خطرات النسيم تخدش خدَّيْ ... هِ ولمس الحرير يدمي بنانهْ

فترى اناملهم الناعمة التي أَلِفت كتب الدراسة واقلام الكتابة تأبى ان تتخدَّش بوشيعة الحائك ومقص الخياط وقَدُوم النجار

ومعول الفلاّح . فيمتهنون هذه الحرف العديدة المفيدة وتشرئبّ اعناقهم نحو المناصب في دواوين الحكومة ومعاهد العلم العليا . وقليلون منهم الذين يباشرون الاعمال اليدوية ويستخدمون علمهم في اعمالهم والحالة على ما ذكر ترى جيش المتعلمين الذين لا تتيسر لهم المناصب يهاجرون الى بلاد الغربة وهم ينشدون قول الشاعر

قبيح بمن ضاقت عن الرزق ارضهُ وطولُ الفلا رحبٌ عليهِ وعرضهُ
ولم يبلِ سربال الدجى منهُ ركضهُ اذا المرءُ لم يدنس من اللؤمِ عِرضهُ
فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ

فيكون علمهم خسارةً وتأخراً للبلاد . وعلى فرض انهم ربحوا هم في دار هجرتهم فوطنهم يخسرهم — وفي جوابنا على هذا الاعتراض نسلم بقوتهِ وصوابيتهِ . ولدفعهِ نحتاج الى عاملين الاول اصلاح المحيط الذي كان يجب ان ينشىء الاعمال التي ترغب طلاب المهاجرة بالبقاء . والثاني اذكاء محبة الوطن في المتعلمين ليجرّبوا اولاً ان يعملوا لنجاح انفسهم في بلادهم وبنجاحهم تنجح بلادهم معهم (وسنعود الى هذا الموضوع في بعض فصول الكتاب)

(٣) أجنبية المؤسسات العلمية — ان المدارس لا تزال اغلبيتها مستندةً الى الاجانب الذين لا نبخسهم حقهم في خدماتهم العلمية

الجليلة . نعم ان بعض الوطنيين قد اقتفى اثرهم الاّ ان قصبة السبق باقية في يدهم — ووجه الاعتراض انهُ لكي ترتقي بلادنا يجب ان يقوم الوطنيون انفسهم بجميع هذه المشاريع المفيدة : ان مرمى المعترض في قولهِ هذا مبني على ان لكل فريقٍ من الاجانب جهة خاصة يولون وجوههم شطرها ويسيرون بمشروعاتهم نحوها . فلو قام من اهل البلاد من عرفوا حاجات الوطن ونبذوا كل تشيُّع جنسي او طائفي وطبقوا غاية مشروعاتهم على حاجات البلاد ووحدوا الغاية وقدّموا الاهمّ على المهمّ لكانت الفائدة اتمّ واعمّ — وجواباً عليهِ اقول : ان وجود هذه المدارس وتلك المنشآت الاجنبية لا يمنع ان يقوم الوطنيون بما ذكر على الكيفية التي يتوخونها . بل انهم ينتفعون باحتذائهم مثال كل مفيد من خبرة الاجانب واستشارتهم ومعاونتهم

(٤) عسر الخطة الحالية — يقول المعترض ان نظام التعليم الحاضر يرهق الاهلين مادياً ويعيي عقول الطلبة بتطلبهِ درس عدة لغات وعلوم تستنزف القوى . وقد كان يكفي نصف الوقت ونصف النفقات لو اقتصرنا على لغة واحدة وبعض العلوم الاكثر اهمية . فنجيب ان الاحوال العلمية والاقتصادية وغيرها قضت بما نحن عليهِ فترانا مسيرين اندفاعاً مع التيار ومراعاةً للاحوال الحاضرة

الفصل الثالث

يقظة تهذيبية مباركة

(١) الاهلون — ترى رغبةً زائدةً عند الاهلين كنا نحسبها اندفاعاً متطرفاً نحو العلم . كلنا نلمس هذه الحقيقة من الاقبال الذي نراهُ على المدارس . وبعضهم يقطعون المسافات الشاسعة ويطوون البيد طياً سعياً وراءَ تحصيل العلم . هذا مع ما يبذلونهُ من الرسوم الباهظة والنفقات الزائدة ناهيك بما هي عليهِ البلاد من العسر المالي وزعزعة الحالة الاقتصادية . ولا يسعنا مع هذه الدلائل المحسوسة الاَّ الحكم بتنبه الرغبة في البلاد وشعور الناس بلزوم العلم للترقي

(٢) الطلبة — قد تبدَّلت الحالة التي كانت تحسب فيها المدارس سجوناً للتلاميذ وامكنة تعذيب لاجسامهم وعقولهم وحقول سآمة يعافها كل طالب . واجمالاً مفزعةً للارهاب . والان كيف تبدَّلت الامور ؟ فانك مع صعوبة الحالة التي ذكرناها وكثرة الفروع العلمية وتعدُّد اللغات . تجد رغبةً زائدةً عند الطلبة ناجمةً عن ادراك منفعة العلم وقدْر المدارس حق قدْرها

(٣) اقدام الافراد الوطنيين — لدينا براهين عمليـة ايدتها

التجارب لتحقيق ما سبق وهي المدارس الوطنية التي لا تستند الى مرسليات اجنبية وليس لها مخصصات من الحكومة ولا تتلقى مساعدات من شركات مالية · بل قام بها افراد وطنيون انتدبوا انفسهم لهذا المشروع فلقوا من الاقبال ما شجعهم على التوسع في العمل والسير الى الامام في سبيل النجاح · وهذا عامل سارّ لترقية البلاد حتى انهُ قوّى آمالنا بامكان اعتماد اهل البلاد على انفسهم في انشاء المشاريع العلمية والخيرية والاقتصادية

الفصل الرابع

فوائد التهذيب لذاتهِ

(١) اللذة العقلية — ثمرة الجهل تافهة الطعم بل مرّة المذاق سامة التأثير · هذا يدركهُ العالم اما الجاهل فقد تخدّر دماغهُ بفعلها السامّ حتى فقدَ الاحساس قال الشيخ ناصيف اليازجي

لا يشعر الجاهل بالجهل كما لا يشعر السكران الاّ ان صحا

ان المتعلم باقتباسهِ المعرفة يشرق على عقلهِ نور باهر فيرى الموجودات بغير العين التي يراها بها الجاهل · فان رفع العالم بصرهُ الى القبة الزرقاء لرؤية الكواكب في افلاكها · واذا سرّح نظرهُ ايام

الربيع في الحقول الموشاة بالحلى السندسية المرصعة بالازهار البهية ذات الرائحة الذكية . واذا جاب السهول وتوقل الجبال وعبر الاودية ودخل الكهوف ومخر عباب البحار وراقب مجاري الانهار ورأى المخلوقات الحية والجامدة على تباين اشكالها وانواعها — يجد في جميع ما يشاهدهُ تغذيةً عقليةً لاذَّة . ليس لمجرَّد بهجة المرئيات الظاهرة بل لما يدرسهُ من طبائعها والنواميس الجارية عليها . فهذه المبهجات الطبيعية تنسيهِ كل زخارف وملاهي اهل الجهالة الغافلين قال الشاعر

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي ... من حبّ غانيةٍ وطيب تلاقي
وصرير اقلامي على اوراقها ... احلى من الدوكاه والعشاقِ
وألذُّ من نقر الفتاة لدفها ... نقري لألتي الرمل عن اوراقي

(٢) الانتباه الى الحقائق — الانسان بعد ان يستنير عقلهُ بتحصيل العلم يدرك حقيقة مركزهِ فلا يغترُّ بنفسهِ ولا يكتفي بنفض الغبار عن عظام اجدادهِ بذكر مفاخرهم فكانهُ يتمثل بقول المتنبي

لا بقومي شرُفتُ بل شرفوا بي ... وبنفسي فخرتُ لا بجدودي

قال الفيلسوف اليوناني ان اعظم حكمة يبلغها الانسان — معرفة نفسهِ — فاذا عرف الانسان المتعلم حقيقة موقفهِ يسعى الى تقويم المعوجّ ولا يستنكف من اقتباس المفيد من اي كان مقتفياً آثار من تقدَّموهُ

من العاملين المجتهدين الناجحين . ويعمل لاسعاد نفسهِ وافادة بني جنسهِ . ولا تنهض امة من كبوتها ان لم تستفق من غفلتها وتكتحل عيونها بمرود العلم والتهذيب

(٣) الارشاد الى العمل — ان العلم الصحيح هو كما سبق الكلام ما تنطبق معلوماتهُ عملياً لاسعاد العباد وسدّ حاجات البلاد . وهذا ما تحتاج اليهِ مدارسنا اعني العلم العملي . فاذا دخل علمنا في زراعتنا وصناعتنا ومناصبنا ونوادينا وسائر اعمالنا متخللاً حالاتنا جميعها فقل اننا سائرون في سبل الرقي الصحيح . والاَّ فيبقى كلٌّ ما على اجسامنا من اقمشة وجميع ما في بيوتنا من رياش وسائر مالنا من مظاهر التمدن من صنع البلدان الاجنبية نضيع في سبيل الحصول عليها القوة والوقت والمال

القسم الاول

في المعلم وصناعة التعليم

الباب الاول

في ادوار التعليم الثلاثة

قد مرَّ على التعليم في بلادنا ادوار مختلفة . ولا لزوم للرجوع في افكارنا الى الاعصر القديمة بل نكتفي بالنظر الى الحالة التي لم تفت معرفتها شيوخ الجيل الحاضر . ان صناعة التعليم قد اجتازت في وطننا طور انحطاط عقبهُ طور تحسين مشوّش ننتظر بعدهُ طور تنظيم . ولكن وُجد ولم يزل موجوداً في بعض بقاع البلاد جهلٌ مطبق مستولٍ على العقول حيث تكاد لا ترى اثراً للتعليم وربما احتاج اهل بعض المزارع ان يذهب احدهم الى قرية اخرى ليجد من يتلولهُ الكتاب الذي وصلهُ من ابنهِ الموجود في اميركا . وها انذا ابدأُ بذكر شيءٍ عن دور الانحطاط

الفصل الاول

دور الانحطاط

لا بد من ان يكون بعض قارئي هذه السطور قد شاهد او عرف شيئاً عن مدارس دور الانحطاط التي يقتصر فيها على تعليم بعض الكتب الدينية بسيطاً . ومن قصد التعمق من اولاد الاكابر وكان لهُ متسع من الوقت يتعلم الخط واثنتين من القواعد الحسابية هما الجمع والتخريج اي الطرح ومن بلغ هذه الغاية القصوى يحق لهُ ان يفاخر بحمل الدواة النحاسية او الفضية في زناره . اذا اردنا بيان الحقيقة نقول انهُ غالباً لا يكون بيت خاصّ للتعليم فيهِ يسمى مدرسة بل يكون التعليم في بيت المعلم الذي يدعونهُ القرّا . وها انذا اروي شيئاً من هذه الحالة — كان يجلس الطلبة (او الاولاد كما كانوا يدعون قبل ان عرفت عندهم كلمة تلميذ) حلقة على حصير في البيت الذي هو غرفة واحدة واسعة لا منفذ لها سوى الباب وبعض كوًى صغيرة عالية . وكل ما يجري في البيت كان على مرأى ومسمع من التلاميذ . فيكنسون ويطبخون الطعام ويحلبون البقرات ويطعمون الدجاج . وانت خبير بما يقتضي لاتمام هذه الاعمال من المفاوضات والاخذ والردّ واحياناً

المشاحنة . ولكن لا تخف ان يعكروا مزاج الاولاد باصواتهم لانهُ كان يطلب من هولاء ان يدرسوا باصوات عالية قد تبلغ الصراخ فتعلو اصواتهم جلبة اهل البيت غير مبالين بها . وغالباً لا يكون القرّاء متفرغاً للتعليم بل يمارس معهُ شغلاً آخر اما الحياكة او السكافة او غيرها . واحياناً يكون قريباً وآونةً يكون بعيداً عن الاولاد . ومتى آنس انخفاض الصوت من جانب من حلقة الاولاد حمل قضيب الرمان الذي قلما يفارق يدهُ ودار يخبط بهِ ظهورهم فترتفع الاصوات من كل جهة مختلطةً بين القراءة وعويل البكاء . واعاهدكم عهداً وثيقاً ان الولد كان يختم الكتاب من الدفة الى الدفة ولا يدرك معنى لما يقرأهُ

اما اجرة القرّاء فكانت شيئاً طفيفاً فان كتاب المزامير المستعمل للقراءة في بعض الكنائس كان مقسوماً الى سبعة اقسام على عدد ايام الاسبوع ويسمون كل قسم سحراً . والعادة اذا ختم الولد سحراً كان يؤدي نصف ريال مجيدي ومع ذلك كان من العادة ايضاً ان انهُ حينما يعود الولد من فرصة الظهر يجلب معهُ رغيف خبز للقرّا واحياناً يجلب بعض الموسرين لهُ هدايا من الطعام والاثمار فينالون حظوةً لديهِ . اما القصاصات اجاركم الله من امثالها فكانت عنوان الوحشية والقساوة وكل غايتها التأليم حتى يصير الولد يخشى ان يلتقي نظرهُ بنظر القرّاء رهبةً وكرهاً . والاصطلاح المألوف ان التلاميذ يأتون في غير وقت محدود

فيبكرون قدر امكانهم ويحبسون الى الظهر دون فرصة وبعد الظهر الى غروب الشمس . ومن لزمهُ قضاء غرض يمدُّ يدهُ لمعلمهِ باسطاً كفهُ ويقول (دستور) . حينئذٍ المعلم يضربهُ على راحة كفهِ ضربة تختلف بين الشدة والرفق حسب درجة رضاهُ عنهُ . ومتى ختم الولد الكتاب يعملون لهُ احتفالاً خاصاً على هذه الصورة : يكتفون يديهِ الى الوراء بزناره ويمسك ولد بطرف الزنار من ورائهِ وهكذا يتبعهُ جميع اولاد المدرسة الى بيتهِ يتقدمهم المعلم . ومتى وصلوا يأتي الوالد فيحل الكتاف ويعطي المعلم حلواناً ويقدّم للاولاد بعض الحلوى من التين او الزبيب او غيرهما

وعلى وجه الاجمال ما كان يحرز شرف الدخول الى هذه المدرسة سوى من كان اهلهم من ذوي اليسار الذين يمكنهم تأدية اجرة التعليم والاستغناء عن تشغيل اولادهم معهم ولذلك كان الطلبة قليلين . ومع ان الاكثرية من سكان القرى وبعض المدن كانت على هذه الحال لا نبخس بعض المراكز حقها في حصولها على الاستنارة والارتقاء العقليين ولكن مثل هذه المراكز كانت تعدُّ على الاصابع

الفصل الثاني

دور التحسين المشوَّش

بعد ذلك تحسنت الحالة فصارت المدارس اكثر انتظاماً وانتشر التعليم بالشكل والحركات وأُدخل شيءٌ من علم الحساب والصرف والنحو والجغرافية وبعض اللغات الاجنبية . وكان ارتقاءُ هذه المدارس في طورها الجديد بواسطة المرسليات الاجنبية وبعض الوطنيين . ولا ريب في ان عقول الكثيرين استنارت وصار المتعلم يفهم ما يتعلمهُ غير مكتفٍ بتقليد الالفاظ كالببغاء . ولا تظنوا اننا وقد ارتقت المدارس وانتشرت وأَقبل عليها الاهالي كما تعهدون قد تخلصنا من حالة التشويش نعم قد دخل التحسين في بعض المدارس ولكن هنالك تشويشاً يتخلل بعض المعاهد الاخرى . لعلكم ما ادركتم تمام قصدي بالتشويش . اني لا اقصد مجرّد الانقسامات والتحزُّبات والخصومات بل اقصد ان النقص والخلل والقصور عن ايفاء حاجة البلاد موجود في اغلب المدارس . عندنا علوم عالية كثيرة ولغات متعدّدة وترانا نفني السنين ليلاً نهاراً في جهاد التحصيل ولكن هل جميع ما نحصلهُ هو من ضروريات لزومنا بينما بعض الامور التي تمس حياتنا واحتياجنا وسعينا لطلب

الرزق قليلة ونادرة . فلو اقتصرت مدارسنا على تعليم نصف هذه العلوم وعنيت في تدريب التلاميذ على الاعمال التي يشعرون بافتقارهم الى ممارستها لاتت امراً مشكوراً . نعم ان بعض المدارس العالية ادخلت بعض الفروع العملية وافادت كثيراً في ذلك . وهذه بعض انواع التشويش الموجودة في مدارسنا

فمن اغلاطنا الحاضرة ان كل من نال شهادة مدرسة صار صالحاً لان يكون معلماً وهذا من التشويش بمكان . كان الاولى ان يدرس فن التعليم كما يدرس كل فن آخر يقصد ممارستهُ

ومن التشويش اختلاف نزعات مدارسنا من طائفية ورسمية وخصوصية وعمومية واجنبية ووطنية

ومن اقوى التشويش ان توسس مدارس ليس لها غاية سوى تخريب مدارس اخرى للمناظرة الطائفية . طلب اهل قرية من رئيس طائفتهم مدرسة فلم يعطهم فطلبوا من المرسلية الاميركية فاعطتهم حينئذٍ اضطر رئيسهم ان يعطيهم مدرسة اخرى وبُذل اقصى الجهد فيها لتخريب المدرسة الاولى . فهل التشويش يعني غير مثل هذا العمل ؟

أليس من التشويش مزاحمة ارباب المدارس بعضهم بعضاً لاجتذاب التلاميذ اليهم من المدارس الاخرى باي واسطة كانت مشروعة او

غير مشروعة . كان عندنا في مدرسة الفنون الاميركية في صيدا تلميذ نبيه وعدهُ معلم مدرسة اخرى بان يرقيهُ صفاً اذا انتقل الى مدرستهِ فانتقل وبعد سنةٍ استلمهُ معلم مدرسة اخرى واعداً اياهُ ان يرقيهُ صفاً آخر وكان كذلك . فاخذ الشهادة بدرس ثلاث سنين في ثلاث مدارس ومن هذا القبيل فتح بعض المدارس ابوابهـا على مصاريعها لقبول الساقطين من تلامذة المدارس الاخرى وانالتهم ما قصروا عن نيلهِ في مدارسهم الاولى . فيغلب فيها المبدأ المادي على المبدإ الادبي الذي كان يجب ان يحرز الافضلية في كل مدرسة

أليس من التشويش انهُ في مباراة الالعاب الرياضية التي يقصد بها مع اكتساب صحة الجسد الحصول على آداب التعاون وشرف المبادىء وضبط النظام ان نرى بعض المدارس تتساهل في مخالفة بعض قوانين الالعاب لتحرز زيادة في نقط الفوز على الغير

أليس من التشويش ان يحسب التلاميذ المنتهون من المدارس الشغل اليدوي عاراً عليهم واذا لم تتيسر لهم المناصب العالية في وطنهم يقصدون ديار الغربة

الفصل الثالث

دور التنظيم

يسرُّنا ان بعض المدارس شعرت بحاجة البلاد وعرفت ان الاكتفاء بتحصيل العلوم واثارة الاذهان واكتساب الآداب لا يطعم خبزاً . فشرعت تلقن طلبتها ما يهمهم معرفتهُ لسدّ حاجاتهم . فادخلت طب الاجسام وطب الاسنان والصيدلة والتمريض والتجارة والحقوق والهندسة وفن التعليم وبعض المهن اليدوية المألوفة . فصار يمكننا ان نقول قد بزغ هلال التنظيم ورجاؤنا ان يصير هذا الهلال بدراً كاملاً الاَّ اننا نعترف مع كل ذلك ان هذا الدور لم يزل في طفوليتهِ . فلا يسدّ حاجاتنا رؤية الابنية الفخمة والعلوم العالية فان حاجتنا الى من يعلموننا اسباب المعايش ويدربوننا لاستخراج الكنوز من تراب ارضنا ولمعالجة حاصلاتنا لتدرّ لنا ولبلادنا ارباحاً وافرة . فعسى في عهدنا الجديد ان تتبع هذا التنظيم المفيد

الباب الثاني

مقام صناعة التعليم

الفصل الاول

نظر الناس الى هذه المهنة

الناس من هذا القبيل نوعان فالسواد الاعظم لسوء الحظ يحسبونها مهنة وضيعة . وباسف اذكر ما سمعتهُ من رجل معمم يدّعي الاجتهاد في العلم قال في معرض الاستخفاف باحد القضاة : انهُ كان معلماً للاولاد قبل توليهِ منصب القضاء ولو فطن هذا المدّعي لادرك ان ودرو ولسن الشهير ارتقى الى رئاسة جمهورية الولايات المتحدة الاميركية من رئاسة المدرسة فاذا كنا نرى هذا شأن من يدّعي العلم فماذا نقول عن جمهور البسطاء الجهلاء الذين لم يذوقوا لذة المعرفة . فانهم بعيدون عن ادراك شرفها الحقيقي حتى قال بعضهم على سبيل الامتهان

وصقاعةٍ قد خصصت في ستةٍ في حائكٍ ومنجدٍ وسكافِ
ومعلم الاولاد ضعهُ بينهم والحقهُ بالحلاج والنداّفِ

ولكن يعزّينا وجود فريق من العقلاء الذين يدركون اهمية خدمة المعلم فيجلون مقامهُ . وانك ترى ذلك في امثالهم كقولهم « من علمني حرفا صرت لهُ عبداً » . وقال بعض الفضلاء « لو عرف الناس النفع من معلمي المدارس واساتذتها لرفعوا شأنهم كثيراً فان المدارس اول ابواب التقدم والتهذيب . وذلك معظمهُ متوقف على المدرسين » وقال الامبراطور بيدرو « لو لم اكن امبراطوراً لوددت ان اكون معلماً » وذكرت احدى الجرائد مرةً عن بعض تنظيمات البلشفيك في روسيا التي من جملتها « انهم لما قسموا المهن الى اربع طبقات وجعلوا لكل طبقة اجراً معيناً عدُّوا المعلمين من الطبقة الاولى »

الفصل الثاني

نظر المعلم نفسهِ اليها

هذا غالباً يتبع نظر الناس اليهِ فحيث تجد الناس يمتهنون قدر هذه الصناعة تجد المعلم ممتهناً في عيني نفسهِ . حدثني احد المعلمين القدماء قال : اخذت بيتاً من الشعر للشيخ ابرهيم الحوراني فشطرتهُ . اما البيت فهذا هو

واذا اراد الله رفعةَ عبدهِ نصبت لهُ ايدي العناية سلما

واما التشطير فهذه صورتهُ

واذا اراد الله رفعةَ عبدهِ هيَّأ لهُ ان لا يصيرَ معلما
فيظلُّ يرقى للمعالي بينما نصبتْ لهُ ايدي العناية سلما

على انهُ يستثنى من ذلك من أُعطي قسطاً من عزَّة النفس وادراك الحقائق فانهُ يذود عن حياضهِ ويحترم نفسهُ فيسترعي انتباه الناس الى احترام خدمتهِ . اعرف معلماً كان في مدينة مركز متصرفية ذا شمم وعزَّة نفس قال : اني اعدُّ مقامي الادبي ارفع من مقام المتصرف بالنظر الى المادَّة التي يستعملها كلٌّ منا في خدمتهِ وبالنظر الى نتائج الخدمة . وفي رأيي ان الحق في هذا الشأن اكثرهُ على المعلم لانهُ اذا كانت خدمتهُ نافعةً محسوسةً من الاهلين وهو يكرم نفسهُ فانهُ اذ ذاك يكون مكرَّماً فتكرَم خدمتهُ معهُ

ونفسك أكرمها فانك ان تهنْ لديك فلن تلقى لها الدهر مكرِما

اعرف بعض المعلمين يخجلون ان يماشوا تلامذتهم في شوارع البلدة امام الناس حذراً من الامتهان . وعندي ان الذي يحسب هذه الخدمة مهينةً عليهِ ان يخلع عن جسمهِ الشريف هذا الثوب الخلق (في نظرهِ) ويرتدي ثوباً نفيساً غيرهُ . لانهُ بسخافتهِ هذه يهين نفسهُ ومدرستهُ وخدمتهُ

اذكر انهُ منذ اكثر من ثلاثين سنة دارت رحى مناظرة في الجرائد حول لقب معلم ومعلمة ولزوم استبدالهما بلقب اشرف اعني افندي او خواجا او سيد تخلصاً من ضعة هذا اللقب . ان الذي يحسبهُ وضيعاً لا يستحق ان يحملهُ وكان يجب ان يدعى مدرّساً فقط حتى اذا برهن الاختبار تفوّقهُ في اتقان الخدمة يحلى جيدهُ بهذا اللقب الشريف (معلم) الذي حُسب من القاب الاحترام للسيد المسيح . وقد دُعي ارسطو تكريماً المعلم الاول

الفصل الثالث

مقام هذه الخدمة في نفسها

اذا كان شرف الاعمال يقاس بالمواد التي تعمل فيها و بنتائجها فخدمة التعليم في المقام الاسمى . لانها لا تشتغل في تراب الارض كالزراعة ولا في المواد الخشبية كالنجارة ولا في الاقمشة كالخياطة ولا في تبادل السلع والمرابحة كالتجارة بل في عقول وضمائر قابلة التكيف فتتجه بها نحو مناهج الحق القويمة وتوسع مداركها وتهيئها لتكون نافعةً لنفسها ولبني جنسها . وبناءً على ذلك قد قدرها اصحاب العقول الراجحة قدرها قال الشاعر

اقدّم استاذي على نفس والدي وان نالني من والدي العزُّ والشرف
فذاك مربي الروح والروحُ جوهرٌ وهذا مربي الجسم والجسم من صدف

واذا اردت ان تعرف قيمة هذه الخدمة بالنسبة الى نتائجها فانظر الى هذا الجمهور من الاحداث فانهم كما ينشأُون يكون رجال الوطن في المستقبل . فان نشأُوا اشراراً افسدوا العباد وخربوا البلاد . وان تربوا تربيةً صالحةً صيروا بلادهم جنةً ونعيماً . لما احسّ الانكليز بعد الحرب الكونية بان حزب الشيوعيين يربون بعض احداث بريطانيا على المبادىء الشيوعية الباطلة قامت قيامة البلاد باسرها لتلافي هذا الشرّ واخماد هذه الشعلة قبل ان يستعر ضرامها . وعليهِ فاننا نحترم ونجلُّ خدمة التعليم لعظم نتائجها وتأثيرها في مستقبل الامة والبلاد

الباب الثالث

الاستعدادات التي توهل المعلم لهذه الخدمة

الفصل الاول

الاستعدادات الطبيعية

(١) خلوّهُ من العيب الجسدي — لا احد يطلب العيب الجسدي ولا من يريدهُ لنفسهِ بل كل انسان يرغب في التخلص منهُ او اصلاحهِ او اخفائهِ على قدر الامكان . نعم ان الفضيلة والتأثير العقلي والادبي لا يتوقفان على الكمال الجسدي . ولكن لا بد من ان الهيئة الظاهرة تحدث تأثيراً في النفس . ومن وُجد فيهِ شيءٌ من هذا القبيل يحتاج الى جهد مضاعف في ابراز القوى الاخرى ليغطي تاثير نقصهِ الجسدي كأن يزداد في لطفهِ ومحبتهِ وغيرتهِ . ولسوءِ الحظ قد يتغافل البعض عن لزوم التحلي بهذه الصفات فتبقى حالهم عثرةً في سبيل نجاح خدمتهم

(٢) جودة الصحة — ان الصحة الجيدة تزيد القوى الجسدية

والعقلية وتجعل المعلم اكثر مقدرةً ونشاطاً في اتمام واجباتهِ وهذا يوجب على المعلم ان يزداد اهتماماً في الاعتناء بصحتهِ ان لم يكن لاجل نفسهِ فلاجل إنجاح عملهِ . واذا كان المعلم مهملاً للقوانين الصحية اعطى مثالاً رديئاً لتلامذتهِ فيحتذون مثالهُ ويعثرون عثرتهُ . واذا كان القول المأثور صحيحاً من اشتراط وجود الجسم السليم للحصول على العقل السليم نرى داعياً آخر للاستاذ ليهتم بصحة جسدهِ . على ان هنالك سبباً آخر يخفى على الناس وعلى المعلم نفسهِ . وهو ان بعض الامراض اذا لازمت الجسد وقتاً طويلاً اثرت في الطبع فتولد السكوت والعبوس وضيق الخلق وتنفي الحلم والرقة وطول الاناة . فوجود هذه الصفات في المعلم تسبب اتعاباً لهُ وللتلاميذ ولادارة المدرسة . وقد نحاول اصلاح ضررها بالتنبيه والارشاد والتنديد وغيرها من الوسائل الادبية مع انهُ كان الاوفق ان ينظر الى حالتهِ الجسمية ويصلحها وربما افادهُ احياناً قليل من الملح الانكليزي اكثر من نصف ساعة نصائح وارشادات

(٣) الميل الفطري او الموهبة الخلقية لهذه الخدمة — لا نغفل عن فائدة الاجتهاد للنجاح في كل امر ولكن لا نستطيع انكار ان لبعض الناس استعداداً فطرياً في طباعهم واخلاقهم لمهنة من المهن . فهذا يميل بفطرتهِ الى الشعر وذاك الى الادارة وغيرهُ الى الاعمال اليدوية

وآخر يطمح لنيل كل شيءٍ . ومنهم لهم موهبة فطرية للتربيـة الاخلاقية وخدمة الاحداث وتهذيبهم . فمن شعر في نفسهِ بهذا الميل وجد ان طرق الخدمة واساليبها تنقاد اليهِ صاغرةً وشعر في وسط اتعاب الخدمة بلذة في عملهِ ورأى حسن نتائج خدمتهِ

الفصل الثاني

الاستعدادات الاكتسابية

(١) المعرفة العقلية — اعني ان ندرس العلوم ونبرع في تحصيلها لكي نستطيع ان نلقنها لغيرنا . وبمقدار ما يمتاز الانسان في فن من الفنون تزداد اهليتهُ لتدريس ذلك الفن . وهذا الامر ظاهر جلياً . ولذلك ينظر اليهِ الناس اولاً في انتخاب الاساتذة . وما اصعب موقف المعلم امام بعض الطلبة النجباء الذين يشعر من نفسه انهم اقوى منهُ في الفرع الذي يدرّسهم اياهُ . وقد لا يخفى ذلك على التلميذ ايضاً . فعلى المعلم ان يعدّ عدتهُ لموقف مثل هذا بالاستعداد التامّ . وهذا الاستعداد يلزمهُ سنون ويقتضي لهُ سهر ليالٍ ومتابعة الدرس واقتباس ما يجدّ في كل فرع من فروع الفن

(٢) التخصص الفنيّ — اي ان يتفرّغ لدرس فن التعليم

على اساتذة خبيرين ويقضي من السنين في الطلب مثل ما يقضي من يتعاطى الطب او المحاماة او اي صناعة كانت فكما ان البارع في الحساب قد لا يكون ماهراً في التجارة دون درس فنها كذلك المعلم لا يمهر في فن التعليم دون درس كيفيتهِ . وهذا التخصص لسوء الحظ ضعيف في بلادنا واسباب ضعفهِ مختلفة . واحسب ان اجتماعات المعلمين في الفرص الصيفية ومباحثاتهم في مواضيع خدمتهم لمحة من نوع التخصص . وهذا يمهد سبيل العذر لبعض المعلمين الذين يظهرون ضعفاً في بداءة خدمتهم لعدم استعدادهم في التخصص الفني المذكور

(٣) التمرُّن العملي تحت يد اهل الخبرة — حينما انشأنا قبل الحرب الكونية صفاً لاعداد المعلمين في مدرسة الفنون في صيدا اقمنا المدرسة الابتدائية مثلما تقيم مدارس الطب المستشفى لتمرين طلبتها . فكان يحضر الطالب احد الدروس مدة معلومة تحت يد معلم الدرس الخاص ثم يكل اليه المعلم تعليم ذلك الصف تحت نظرهِ وعند نهاية التسميع يقدّم لهُ الملاحظات وهكذا يمرّ على جميع انواع الدروس . ولو كانت هذه الطريقة متبعة ما كنا نحتاج ان نقضي سنين في التدريس لمعرفة ممارسة هذه الخدمة

الفصل الثالث

الاستعدادات الادبية

قال بعضهم في اهلية المعلم ما نصهُ « والواجب ان نثقف معلمينا قبل ان نثقف قواعد التعليم . والمدارس في حاجة الى تهذيب المعلم اكثر من الحاجة الى القواعد وجعل الدروس سلماً بل جد المعلمين الذين هم اهل لذلك تجد الدروس سلماً ومرتقى الى اسنى المطالب . ان الآلات الماضية للصانع الحاذق فالاستاذ هو العامل الجوهري » وهنا نذكر بعض الاستعدادات الادبية للمعلم

(١) النفوذ الادبي — هذا يحفظ للمعلم مقامهُ في عيون تلامذتهِ وسائر من يعاشرهم . ليس المعنى ان يكون متصلفاً متشامخاً لان ذلك من شان اهل الجهالة قصيري الادراك . نعم ان سياسة المعلم تلامذتهُ تستدعي دقةً وحنكةً فلا يليق ان يكون جافَّ الطبع يكره التلاميذ لاطاعتهِ اكراهاً . ولا لينًا الى درجة السيولة فيمتهن الى درجة الاستخفاف . اي لا يكن يابساً فيكسر ولا رطباً فيعصر . ان المعلم الذي يفقد احترام تلاميذهِ يضعف تاثيرهُ فيهم لانهم متى استخفوا بهِ لا يبقى عندهم قبول للاستفادة منهُ لا في دروسهِ ولا في تهذيبهِ اياهم

وربما نتج عن ذلك اتعاب وقلاقل وقصاصات ومشاكل قد لا يكون لها لزوم فيتعب بسبب ذلك التلميذ والادارة والمعلم نفسهُ . ولسوء الحظ متى فقد المعلم مهابتهُ يميل الى الشدة والصرامة لاستردادها وهذا يجعل مركزهُ حرجاً ويزيد التلميذ منهُ نفوراً . ومن المساعدات لحفظ المقام حسن الهندام في اللباس والنظافة والترتيب فان ذلك يجذب ميل الاستحسان ويولد الاحترام . ومن كان عديم الترتيب مشوَّش اللباس امتهن في العيون وان كان حسن السيرة سليم الطوية وقول ابن الوردي في لاميتهِ

خذ بنصل السيف واترك غمدهُ واعتبر فضل الفتى دون الحلل

يعني لا تكتفِ بظاهر الامور بل انظر ايضاً الى حقائقها

(٢) الاخلاق الرضية — كتب إمرصن الى ابنتهِ وهي في المدرسة قال « انهُ لا يهتمّ باسم المدرسة التي هي فيها بل يهتمّ بصفات المعلمات الموكول اليهنَّ امر تهذيبها » . فلم يكتب امرصن ما كتب الا وهو فاهم ما يجب فهمهُ على الكل . ان الاخلاق الفاضلة والصفات الحسنة وعواطف المحبة واللطف اذا تحلى بها الاستاذ مهدت لهُ السبيل لاكتساب ميل التلاميذ اليه ومتى امتلك هذا الميل صار لهُ سلطة حبية ونفوذ ادبي . ان كمال الاستعداد العقلي ولو تفوَّق فيهِ الاستاذ لا يغني عن وجوب تحليه باللطف والصدق والاخلاص والحكمة

والانصاف والتغاضي في بعض الاحوال . لنفرض ان قد ساءت سمعة معلم ورُمي بالتهـامل والمحاباة والظلم والخشونة والشموخ والعبوس والتجسس ولا سيما اذا اشرك بعض التلاميذ الذين يختصهم لخدمة مقاصده الذاتية معهُ فبلا ريب ان معلماً بلغ هذا المبلغ من التغفل يسقط في عين ادارة المدرسة وفي عيون التلاميذ . فاياك ان تكون اياهُ

(٣) القدوة الصالحة — او التعليم بالمثال . ان صوت الصفات والاعمال اليومية اعلى جدًّا من صوت النصائح والمواعظ البليغة قال الشاعر

يا ايها الرجلُ المعلمُ غيرهُ هلاَّ لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدواءَ لذي السقام وذي الضنى كيما يصحَّ بهِ وانت سقيمُ
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا ابداً وانت من الرشاد عديمُ
لا تنهَ عن خلق وتأتي مثلهُ عارٌ عليك اذا فعلت عظيمُ

وما احسن ما قالهُ احدهم « كن كما تريد تلاميذك ان يكونوا » اي لا يبيح المعلم لنفسهِ ما يحظرهُ على تلاميذهِ عدا ما هو مختصٌّ بهِ كمعلم . واحيانًا تستدعي الحكمة ان يتنازل المعلم عن شيءٍ من حقوقهِ الشخصية لكي يعطي تلامذتهُ مثالاً حسناً

الباب الرابع

ممارسة خدمة التعليم

الفصل الاول

محبة المعلم لهذه الخدمة

على المعلم ان يحب خدمة التعليم ويسرّ بممارستها . قالت الحكماء : من احبّ امراً أكثر من ذكرهِ وبالغ في اجادتهِ . فاذا كان المعلم لا يشعر طبعاً بهذه العاطفة نحو صناعة التعليم تكون محاولتهُ ممارستها إرغاماً لطبعهِ . ومن كانت هذه حالهُ اظنهُ لا يطيل مدة خدمتهِ فاذا لم يتركها هو من نفسهِ لعدم رضاهُ بها فالخدمة تتركهُ لعدم رضاها بهِ . وقد شبه بعضهم سرور العامل في عملهِ بالزيت للآلات الميكانيكية فانهُ يسهل حركة اجزاء الآلة بعضها مع بعض دون احداث صوت مزعج او تشويش . وان التذمر والتافف من العمل يمثل الصدأ في اجزاء الآلة فانها لا تكاد تتحرك بعضها مع بعض واذا تحركت كانت حركتها ببطء وتثاقل واضطراب واصوات

مشوّشة مزعجة . فالمعلم الذي يظهر الضجر والملل ويشكو سوء حالهِ وبلادة تلامذتهِ وسوء تصرُّفهم ومعاملة اهلهم لهُ وعدم اهتمام رؤسائهِ بشأنهِ لا يثمر في خدمتهِ الثمار المطلوبة . واللذة في العمل لا يمكن ان تشرى من السوق ولا يجدها طالبها في مكاتب المدارس العليا لانها منبعثة من نفسهِ من داخلهِ من اقتناعهِ باهمية خدمتهِ وصوابية المناهج المرسومة لهُ . ان تذمرات المعلم تنفر التلامذة وعلى طول المدة تصيرهُ شكس الاخلاق سريع الغضب ينظر الى كل امر بعين يعلوها غبار الشكوى . زد على ذلك شعورهُ الدائم بثقل واجب الخدمة فينوء تحت القيام باعبائها

الفصل الثاني

حسبانها عملهُ الخاص

اي ان يحسب المعلم نفسهُ صاحب العمل يهمهُ نجاحهُ لا مستأجراً يقف عند اتمام الواجب المفروض . قد يكون المعلم مدققاً في المحافظة على اوقات المدرسة القانونية وعلى اتمام كل واجب كما يطلب منهُ بكل امانةٍ وضبط . ومع ذلك — ومع كل ذلك ربما عدَّ اجيراً اذا لم يحسب ما يتمهُ عملهُ الخاص . ومن عدَّ نفسهُ صاحب العمل يتمم المطلوب

وفوق المطلوب فلا يذخر وسيلةً يرى فيها نجاحاً لمدرستهِ الاَّ سعى في اتمامها سواءٌ أكان في وقت راحتهِ او وقت شغلهِ القانوني . فيصدق فيهِ قول الشاعر المجيد ايليا ابي ماضي

وتخدم قومك عفو الضمير ويخدم غيرك اذ يؤجرُ

وهذه هي التضحية بعينها . واي الاعمال فاز بها اربابها دون التضحية في سبيلها . ومن اعظم امثلة التضحية قصة معلمة في احدى ابرشيات لويسيانا . قال راوي هذه القصة « كانت معلمة تعلم في الريف بين آجام الصنوبر . ولم يكن لها ولتلميذاتها موقد ولم يكن لها كرسيٌّ تجلس عليهِ ولم يكن ثمَّ شيءٌ يقيها وتلميذاتها من البرد القارس فحدث ان ثارت يوماً عاصفة في الولاية وكانت العاصفة كثيرة الرطوبة قارسة البرد فاخذت التلميذات ينتفضنَ برداً لان ثيابهنَّ كانت خفيفة لا تغني في مثل تلك الحال فلم تتردَّد المعلمة في ان وقفت في مجرى الزوبعة وادارت بوجهها الى تلميذاتها وظهرها الى البرد القارس ولم يمكنها وقايتهنّ بغير ذلك . فمنيت بالتهاب الرئة ولم يمضِ اسبوع الاَّ وهي تحت قبة من الازاهر تحملها تلميذاتها المحبات اللواتي ابدت لهنَّ ما تستطيع من المحبة . فليس اعظم من بذل الحياة في سبيل الاحباء »

الفصل الثالث

جودة الاسلوب

قد ترى استاذاً عالماً علامةً لا يستطيع ان يبلغ مرادهُ لتلامذتهِ ويحار للامر . قرأت عن عالم شهير انهُ « حاول ان يكون معلماً فما افلح بل اصابهُ من الخيبة في ذلك ما يدعو الى الشفقة . وكان يعترف باخلاص انهُ لا يستطيع افهام تلامذتهِ ما يريد افهامهم اياهُ من معارفهِ » نعم ان المعلم الحاذق تحت تجربة الخيبة اكثر من المتوسط المعرفة لان الاول اذ يدرك الحقائق ويحلّ المسائل بسرعة ينتظر ان الجميع يدركون مثلهُ فيخيب املهُ فيحنق ويحسب الامر عن كسل او عدم اهتمام فيوبخ ويقاصُّ تلامذتهُ . اما الاقلُّ حذاقةً فانهُ اذ اختبر ما يقتضي من التاني والرفق بالتلميذ لتعليمهِ يعمل نفس الامر مع تلامذتهِ فيفيدهم بحسن اسلوبهِ اكثر مما يفيدهم الحاذق بحذاقتهِ . والمشاكل في التعليم تكون غالباً عن سوء فهم حقيقة التلميذ او قلة الحكمة او جهل الاسلوب السهل المفيد . ولسوء الحظ قد يخفى ذلك عن المعلمين . لنفرض انهُ لا يوجد بين معلمي المدرسة الاَّ معلم واحد يحبهُ التلاميذ فيفيدهم اعظم افادة وهم لهُ اطوع من بنانهِ فلماذا لا اكون

انا ذلك المعلم ؟ ولماذا اترك هذا الفضل لسواي من المعلمين ؟ فكأني بذلك اعترف لهُ بالتفوُّق عليَّ وعجزي عن مماثلتهِ في اداء خدمتي . ان اعتذاري وتحويلي اللوم على التلاميذ او على ادارة المدرسة كل ذلك من قبيل تنصل العاجز

الفصل الرابع

اتفاق المعلمين

كل مدينة او قرية او بيت منقسم على ذاتهِ لا يستطيع ان يثبت فمآلهُ الى السقوط والخراب . ولا تشذُّ المدرسة عن منطوق هذه الحكمة السامية . اذا قرنّا زوجاً من الخيل الى مركبة فشدّ الواحد الى هذه الجهة وشدّ الآخر الى جهة اخرى او تراخى يتشوَّش السير وتتقلب المركبة بمن فيها . واذا اجتمع اناس لرفع ثقل واحد لا يليق ان بعضهم يرفعهُ على كتفهِ وآخر يجلس فوقهُ . كل هذه الامثلة ترينا ان إجادة العمل مع الجماعة تقوم باتحادهم كأنّ لهم يداً واحدة فيهِ . واما اذا انتقد معلمٌ معلماً آخر امام بعض المعلمين او الاجانب وخاصةً امام التلاميذ . و كذا اذا سار في خطة شاذة اختطها لنفسه منفرداً . فانهُ يتلف العمل من اصلهِ . فعلى كل معلم ان يكون لهُ قسط من

الحكمة التهذيبية يحملهُ على الاغضاءِ عن ضعفات زملائهِ ومصارحتهم باخلاص ولطف في كل موضوع ينكرهُ مما يبدو منهم نحوهُ او نحو غيرهِ . وليفتح لحسن الظن باب المحبة على مصراعيهِ عارفاً انهُ هو لا يخلو من بعض الهفوات التي يريد الاغضاء عنها . وبذلك تسير الاعمال بنظام تامّ في طريق النجاح وتحلو معاشرة الرفقاءِ ويهنأُ عيش جماعة المعلمين الذين هم في مراكز القادة لجمهور التلاميذ . وكلُّ معلم لا يقصد و يجتهد ان يعمل مع سائر زملائهِ باتفاق ادبي عملي عدم وجودهِ خيرٌ للمدرسة ولو كان من نوابغ العصر

الفصل الخامس

تبادل المحبة مع جميع التلاميذ

اي يجب ان يكون عند المعلم ميل حقيقي واستعداد لخدمة التلميذ في كل ما يؤُول الى خيرهِ . ليس كمن يرى في الشخص شيئاً يحب بل كمحبة الاب التي تميل بهِ الى افادة ابنهِ مهما كانت حالهُ من شكاسة الاخلاق وبلادة الطبع . ولو اختبر كل معلم تأثير عاطفة المحبة التي لا بد من انعكاسها من التلميذ نحو معلمهِ المحبّ لعدلوا عن سياسة الشدة والارهاب . وهذه المحبة لا تنافي لزوم توبيخ التلميذ

وانذارهِ ومقاصتهِ ولكن ليكن كل ذلك بحيث يشعر التلميذ بسيال المحبة يجري على سلك تصرُّفات معلمهِ معهُ · اياك ثم اياك اذا شعرت بحماسة غضب او نقمة ان تقابل التلميذ بكلام يشتم منهُ رائحة اهانة او تفرض عليهِ قصاصاً او تشترك مع ادارة المدرسة في محاكمتهِ لانك لا تكفل نفسك ان تلازم جانب العدالة والانصاف وحالتك على ما ذكر · ولا انسى ان انبه صديق الاستاذ لكي لا يستميل اليهِ بعض التلاميذ فيخصصهم بعطفهِ ومحبتهِ وخدمتهِ ويجافي بعض التلاميذ الذين لا يوافقون ذوقهُ · فان من يعمل شيئاً من ذلك يحطُّ نفسهُ من مقام الاستاذ الرزين الحكيم العادل الامين الى مقام التلميذ الجاهل او القاضي المحابي · ومن اوضح دلائل المحبة في المعلم وافعل الوسائط في التلميذ التقرُّب منهُ ومشاركتهُ في احوالهِ والاهتمام بشؤونهِ مثل ان تسأَلهُ عن دروسهِ وصحتهِ واحوالهِ واهلهِ وتتقدم الى مساعدتهِ وارشادهِ حسب امكانك وحكمتك

ومن الوسائط المختبرة في كسب ميل التلميذ الصعب المراس ان تظهر ثقتك بهِ وتكل اليهِ قضاءَ بعض الامور مثل اصلاح من يماثلهُ بهذه الصفة فانهُ يبدأُ بنفسهِ ثم بمن وكُل اليه امرهُ · هكذا صار لمعلمة في جنوب افريقية لما اعيتها الحيل في اصلاح ابنة مقلقة وكلت اليها سائر البنات فاصطلحت وأَصلحت

الباب الخامس

العلاقات الخارجية التي تساعد الاستاذ في خدمتهِ

الفصل الاول

علاقتهُ مع اهل التلاميذ

تحسب المدرسة مركز شركة ادبية يرتبط فيها فريقان الفريق الاول ادارة المدرسة والفريق الثاني اهل التلاميذ من والدين واخوة واولياء . وبناءً على هذه الشركة يرى المعلم نفسهُ مسؤولاً لهُ علاقة ثابتة مع اهل كل تلميذ ولذلك ينتظر منهُ

(١) ان يكون بينهُ وبين اهل التلميذ تعارف وصداقة ولكن ليحذر من ان يعد كل والد ان يعتني بابنهِ اعتناءً خاصاً لانهُ لا يستطيع ان يفي كل هذه المواعيد فضلاً عن ان علاقة الجميع متساوية

(٢) ان يبحث معهم ويستشيرهم ويستفسر منهم عن احوال اولادهم في البيت ان كان من جهة المواظبة على درس المثائل او من جهة السلوك في البيت وخارجهِ . كما وانهُ يخبرهم من وقت الى آخر

عن حالة اولادهم العلمية والادبية

(٣) ان يشعر معهم في علاقتهم الخاصة الشديدة باولادهم وزيادة اهتمامهم بمعرفة شؤونهم . ويشعر كذلك بما يتحملونه من ألم فرقة اولادهم ومن النفقات الطائلة وانهم لقاء كل هذا ينتظرون ان يروا نتيجةً بل نتائج حسنةً من وجود اولادهم في المدرسة

(٥) ان يزورهم في بيوتهم الزيارات الرسمية في المواسم والاعياد والاحوال الخاصة وحين تستدعي الظروف البحث معهم عن احوال اولادهم

(٥) ان يتحمل بالصبر والحكمة انتقادات بعض الوالدين لان اناساً منهم غير مستنيرين في عقولهم ومن طبعهم ان يسرعوا في تصديق شكوى اولادهم . فيتلطف في بيان الحقيقة لهم و يتجنب مخاصمتهم

الفصل الثاني

علاقتهُ مع سائر الناس

ان علاقة المعلم غير مقصورة على التلاميذ واهليهم بل كفرد من الهيئة الاجتماعية لهُ علاقة هامـة مع الجميع على اختلاف الرتب والدرجات فيجب

(١) ان يكون لهُ مقام ادبي في اعين الناس وهو ادرى بالوسيلة لحيازة هذا المقام ان كان من جهة معارفهِ او صدق معاملتهِ في الاخذ والعطاء والوفاء وما ماثل ذلك

(٢) ان يترفع عن الانحياز الى فريق من الناس ضد فريق آخر حيث يكون الانقسام والتحزُّب . بل بالاحرى والحالة هذه عليهِ ان يسعى الى ايجاد السلام والوفاق باخلاص ومحبة

(٣) ان يشترك مع الاهلين بالمساعي الآئلة الى تحسين حال بلدتهم دون الطموح الى التصدر في المجالس والظهور بمظهر القادة من اهل الزعامة . لانهُ يخشى مع هذه الحال ان يكون مسعاهُ لترقية نفسهِ لا لترقية الوطن الذي يخدمهُ . وليكن كل ذلك الى حدّ لا يغطل على مساعيهِ لترقية مدرستهِ اولاً

(٤) ان يكون ليس معلماً لتلامذة مدرستهِ فقط بل يرشد الناس البسطاء والمغفلين الى ما فيهِ صلاحهم وإصلاحهم

(٥) ان يقيم حفلات مدرسية يدعو اليها اهل التلاميذ وسواهم من سكان البلدة وفي ذلك عدة فوائد منها ان الحاضرين يعرفون شيئاً عن اعمال المدرسة . واهل التلاميذ يفرحون ان يسمعوا اصوات اولادهم من على المنبر . وغيرهم من الناس يستمالون الى مناصرة المدرسة بالثناء عليها وعلى تعليمها

الفصل الثالث

علاقتهُ مع خالقهِ

اخشى ان البعض لم يكونوا منتظرين ان احسب هذه المزية من لوازم المعلم . ولعل البعض يحصرونها في القسوس والمشايخ وانها تدخل في ابواب المعابد الواسعة وتضيق دونها ابواب المدارس العامة . وعلى هذا اجيب : ان جودة عقيدة الاستاذ في الله سبحانهُ وتعالى وفي صدق كتابهِ الكريم وتخلل هذه العقيدة في افكارهِ واقوالهِ واعمالهِ يجعل صلاحهُ طبعاً لا تطبعاً وفضائلهُ حقيقةً ثابتةً مستمرةً لا صورةً

سريعة الزوال . فضلاً عن ان الحياة التقوية تزيد الانسان شعوراً بالواجب وتنير في سبيل قيامهِ بذلك الواجب ونقيهِ من العثرات والسقطات في التجارب . وتؤهلهُ لان يبني انفس تلامذتهِ على هذا الاساس الراسخ فيكون لهُ تأثير صالح في اعين الجميع

دعونا نفرض وجود دروس دينية في المدرسة وان هذه المدرسة تفتتح اعمالها كل صباح باقامة اجتماع خشوعي للعبادة . ومع هذا كلهِ اذا كانت حياة الاستاذ ناشفةً جافةً من السيال الروحاني لا يكون لتلك الوسائط النتيجة المرومة فلا تتجاوز الفهم العقلي الى مس الشعور القلبي . ولنفرض عكس ذلك اي خلو المدرسة من تلك الوسائط الرسمية الخارجية . اذا كان المعلم حكيماً ورعاً صالحاً يأتي بالغاية المقصودة . أُخبرتُ عن استاذ من هذا النوع دُعي الى التدريس في مدرسة اشترط عليهِ فيها ان لا يكلم التلاميذ في مسائل الدين فقبل مع مباينة ذلك لطبعهِ . ولكن لم يكن عدد التلاميذ الذين استناروا بصلاح سيرتهِ قليلاً . لانهم اذ رأَوا حياتهُ الصالحة وامانتهُ ولطفهُ وتأثير العامل الروحي في قلبهِ انساقوا الى اقتفاء اثرهِ دون ان يدعوهم بصوتهِ

ومع عظم احترامي لتقوى الاستاذ وتأثيرهِ الروحي في تلامذتهِ لا اقول بموافقة ان يغلب فيهِ هذا الميل فينسيهُ واجبات التعليم

والادارة . لان عمل المعلم شيءٌ وعمل المبشر شيءٌ آخر . اعرف سيدة دُعيت للتعليم في احدى مدارس المرسليات الدينية كانت تقيةً الى درجة قصوى . ولا تعاب في ذلك . وكانت غيورة في التبشير اكثر من قسيس . وتمدح على هذا . ومع هذا الاحترام هي لا تصلح ان تكون معلمة بل كان عليها ان تتفرَّغ لعمل التبشير . ولم تدعَ السنة التالية للتعليم . ان الله يدعونا لخدمتهِ في العمل المنوط بنا مهما كان نوعهُ ومن اخصّ هذه الاعمال خدمة المعلم في التعليم

القسم الثاني

انواع التربية المدرسية

الباب الاول

التربية الجسدية

الفصل الاول

اهمية الصحة في المدرسة

لا غرابة في تقديمنا التربية الجسدية على سواها من انواع التربية لان صحة الجسم قاعدة ترتكز عليها جميع امور الانسان . فالعقليات والادبيات وسائر الاعمال والواجبات لها علاقة شديدة بالحالة الجسمية وقد سبق معنا الكلام في ان بعض الاخلاق الشاذة مرتبطة ببعض حالات صحية يتوقف اصلاحها على صلاح الجسم نفسهِ. قال بعضهم: « العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان » مقدّماً الاول بالذكر لتوقف الثاني عليه . وقال المثل الروماني « العقل السليم في الجسم السليم » . ولا يفوتنا ان التربية الجسدية غير مقصورة فائدتها على الصحة فان

فيها جمالاً لهيئة الجسم وكمالاً للمجموع المدرسي أضف الى ذلك تسهيلها الجري بحسب النظام

ومع الاسف نقول ان اهل المدارس في حاجة أمسّ من غيرهم الى مراعاة الاحوال الصحية لان حالة المدرسة في كثير من شؤونها لا تلتئم مع المطالب الصحية . وذلك يدعونا الى الاهتمام وزيادة العناية في مدارسنا . واول ما نذكرهُ هذا العضو النحيف الثمين الجميل الذي يسمونهُ العين . ترى ان عليهِ مدار عمل التلميذ في المدرسة ليلاً نهاراً . فما هي فائدة فلسفتنا وتبحرنا في العلوم مع خسرانهِ[1] . وهذا الجسم الذي يحتوي ما تقوم بهِ حياتنا ما خلق ليلبث ساعاتٍ طويلةً في حالة السكون والسكوت وان كان اكثر فحركة بطيئة متثاقلة . واحياناً لقلة نشاطهِ يميل الى الانحناء للاعتماد على شيءٍ يسندهُ . الامور التي تجعل التلاميذ كهولاً وهم في ميعة الشبيبة . وعليه اذا رأيت ايها الاستاذ التلاميذ وهم يخرجون من غرفة الدرس بعد حبس ساعة او اكثر يندفعون بحماس وضوضاء ومزاحمة تميل الى

---

(١) نصائح طبيب لحفظ البصر « اجلس غير محدودب . اجلس غير منحرف . ابعد الكتاب عن عينيك ثلاثين سنتيمتراً على الاقل . اكتب على مكتب مائل لا على مكتب مستوٍ . اقرأ وكتابك مرتفع . لا تقرأ في كتاب حروفهُ صغيرة . لا تقرأ والنور ضعيف »

مؤاخذتهم وترميهم بخرق النظام . كنت تريد انهم يدخلون ويخرجون كما تتحرك الآلات الميكانيكية بنظام وسكون . ان مطلبك من شأن المواد الجامدة لا من شأن الاجسام الحية . ان التلاميذ يندفعون هكذا ويلغطون لا حباً بخرق النظام ولا لسوء خلقٍ بل استسلاماً للعامل الطبيعي الجسمي لكي يعوّض الجسد عن سكونهِ وسكوتهِ . ألا ترى الحيوانات تفعل مثل ذلك حين خروجها من مرابضها وهي احكم من بعض البشر في مراعاة الطبيعة . وكم هو مفيد ان نراعي في اعمالنا المطالب الطبيعية مع اعتبار الاحكام العقلية . قال باستير « اذا كنا ننتظر ان يقوم العلم بخدمة جلى فعلينا ان نلاحظ الطبيعة ونقف بجانبها »

ان الوالدين لا يرسلون اولادهم الى المدارس بغية التربية الجسدية لانهم اكثر منا شفقةً عليهم فهم اولى بهذه التربية . ولكن الذمة والضمير والواجب تقضي ان يكون للصحة في نظرنا المقام الذي تستحقهُ . ما المنفعة يا اخي اذا صنعت اناءً جميلاً مزخرفاً بالنقوش البديعة وانفقت عليه مالاً ووقتاً وتعباً ثم اذا اكملتهُ وجدتهُ سريع الانكسار لانهُ تعرَّض لصدمات كثيرة اثناء اتقان صنعه وربما تحطم وهو بين يديك . سمعت عن تلميذ درس الدروس الابتدائية والعالية وتخصص في بعض الفنون العملية وكان شعلة ذكاء نابغة في كل فن واولاً في

كل صفٍ ونال الشهادات بشرف . ولكنهُ ما انهى علومهُ حتى اخترم جسمهُ داءٌ دفين صرم حبل حياته قبل ان يخرج الى العالم لاظهار نبوغه وخدمة اخوته البشر بمواهبه . انا احسب ان قسماً كبيراً من المسؤولية علينا نحن ارباب المدارس لغفلتنا عن ملاحظة حادثٍ كهذا في جدّة امرهِ . ان عملنا في المدرسة ليس في ادوات جامدة اذا تلف منها شيءٌ يمكن اصلاحهُ او التعويض منهُ . ان عملنا في اجسام حية في نفوس خالدة . فعلينا ان نشعر بهذه المسؤولية ونوجه عناية خاصة للمحافظة على صحة تلامذتنا الذين هم بمثابة اولادنا . وهنا ننظر الى هذا الامر من ثلاث جهات وان كانت لا تخلو من التداخل في بعضها البعض (١) ما على المدرسة (٢) ما على التلميذ (٣) ما على المعلمين

الفصل الثاني

ما على المدرسة من جهة الصحة

(١) الموقع الصحي — يجب ان تكون ابنية المدرسة فسيحة معرَّضةً لدخول نور الشمس الكافي لصحة الجسم وللدرس ايضاً . وان تكون انوار المصابيح ليلاً كافيةً لنظر العيون بوضوح وراحة دون تالق يبهرها او ضعفٍ يسقمها وان يأتي النور من الوراء لا من الامام . وان تكون النوافذ متوافرةً ليدخلها الهواء ويخرج منها بحرية ليتجدد على التوالي . وان تكون بعيدةً عن المستنقعات ومجتمعات الاقذار وان امكن لتكن في مكان مرتفع مشرف على الجهات لان تسريح النظر يكسب الجسم نشاطاً . وكل هذه الامور ينظر اليها بنوع اخص في غرفة الدرس التي يمكث فيها التلاميذ وقتاً طويلاً . ولا نغض النظر عن غرفة المائدة وغرف النوم والتسميع وجميع ساحات ومعابر المدرسة

(٢) النظافة — لا باس بتكرار الكلام عن النظافة في اقسام هذا الباب . اما ما على المدرسة فهو ان تحافظ على التنظيف اليومي المتقن لكل مكان وزاوية من جميع اجزاء المدرسة . وان تكون غرفة

الغسل مستوفية الشروط غزيرة المياه وان يكون ثمّ حمامات للماء الحار والماء البارد . ويجب ان تسهل للتلاميذ امر غسل ثيابهم ليكون كلُّ شيءٍ نظيفاً . ولا تغفل العناية بالتنظيف الدائم لبيوت الماء وان يكون ترتيبها على النظام الصحي . وقد أحسن كلّ الاحسان من حسب النظافة من الايمان

(٣) ساحات اللعب والرياضة — المدارس التي تكتفي بان يكون لها غرف ملائمة للدرس والنوم والطعام والتسميع ولا تكترث لساحات الالعاب الفسيحة ولا تهيئ للتلاميذ ادوات اللعب وتخصص لممارستها اوقاتاً قانونية تكون مسؤولة للوالدين وللامة في ضعف اجسام ابنائها . ولا نسهو عن علاقة الطبيب في الحكم بموافقة انواع الالعاب لمزاج كل تلميذ لا سيما العنيف من الالعاب والنحيف من التلاميذ

(٤) الطعام والشراب — في المدارس الداخلية ليكن الطعام صحياً في جنسهِ وطبخهِ وتناولهِ . وماءُ الشرب صالحاً نقياً خصوصاً ايام تفشي الاوبئة

(٥) الحفلات الانسية — التي ينبسط فيها الجميع من تلاميذ ومعلمين وتكون جامعةً لاسباب السرور فتعمّ الالفة وترفع الكلفة . ومعلوم ان السرور زيت النفوس العاملة فانهُ يمهد السبيل لنشاط

القوى كما وان الهموم تخترم الاجسام القوية قال ابو الطيب المتنبي

والهمُّ يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرمُ

(٦) التنزه خارج المدرسة — ان تغيير الموقع ورؤية مناظر جديدة واستنشاق الهواء المطلق النقي والحرية في الحركة والحديث ونحو ذلك لهُ تأثير حسن في حفظ الصحة بانعاش القوى وجلب المسرّات

(٧) اعتماد طبيب خاصّ — من شأنهِ ان يقدّم الارشادات والملاحظات في ما يتعلق بصحة التلاميذ . ويستشار في كل الامور التي لها علاقة بهيئتهِ . ويدعى لمداواة من يلم به المرض . ويكون لهُ الحكم في قبول الاعذار الصحية وموافقة بنية التلاميذ من جهة الدروس والالعاب وسائر الواجبات المدرسية

(٨) تخصيص معلم لمراقبة الصحة — فيكون ملاحظاً كل ما يتعلق بالامور الصحية ويدعو الطبيب وقت اللزوم واليهِ يرجع التلاميذ في هذا الشأن

(٩) تهيئة صيدلية بسيطة — فيها الادوات والادوية اللازمة التي يحتاج اليها في الحوادث العادية والامور المفاجئة وتكون تحت عناية مدير الصحة

الفصل الثالث

ما على التلميـذ

اذا قلنا ما على التلميذ لا نعني ان المعلم يكون بمعزل من هذه الجهة بل عليهِ ان يدرّب التلميذ في ما يخصهُ من امور الصحة

(١) الاستقامة — هذه اللفظة اذا أُطلقت تبادر الذهن الى الامور الادبية · نعم ان للآداب تأثيراً في الصحة ولكننا هنا ننظر الى الاستقامة والاعتدال الجسديين في الاشغال المدرسية

١ً في الجلوس · التلميذ الجالس الى مكتبهِ اذا اعتاد الانحناءَ عليهِ ضاق صدرهُ فلا تجري وظيفة التنفس بحرية واذا ضعفت تعرَّض للامراض الصدرية · فيجب ولو مع تحمل شيءٍ من العناء ان يحفظ التلميذ هيئة الجلوس معتدلةً غير منحنية وقت الدرس لان الانحناء فوق ما ذكر من ضررهِ يجعل النظر منحرفاً الى الكتاب فتتعب العين ويلحق بها الضرر ٢ً في الوقوف · لا تكن الكتفان منحنيتين الى الامام بل الى الوراء ولا يكن الظهر محدودباً بل منتصباً فان ذلك فضلاً عن انهُ يجعل التنفس صحياً يعطي الصوت قوة وجلاءً ·

٣ً في الاصطفاف والمشي · الاستقامة فيهما تكسب جمالاً ونظاماً

وحسن ذوق مع تهيئة الصدر لاستعياب مقدار كبير من الهواء النقي « وقد فحص الدكتور براون طائفة كبيرة من طلبة جامعة هارفرد في اميركا فتبين لهُ ان ذوي القامات المعتدلة اصحاء الجسم لا يشكون من شيء بينما كان اصحاب القامات المنحنية يشكون من الامساك والصداع والضعف العمومي . وذلك لان صاحب القامة المنحنية يكلف بعض اعضائهِ من ثقل جسمهِ اكثر مما يكلف غيرها فيشعر بالاعياء لاقل مجهود »

(٢) الطعام – التلميذ ليس عليهِ في هذا الامر الاَّ ان يراعي في طعامهِ المضغ الكافي فلا يسرع اكثر من اللازم ولا يطلب التانق واللذة بالدرجة الاولى بل ما يحتاج اليهِ الجسم للتغذية . ولا يغتنم كل فرصة سانحة لوضع شيء في فمهِ . وليس مما يعاب ان ننبه التلميذ الذي لا يعلم مساحة معدتهِ فيحشوها فوق قدرتها على الهضم . وقد ورد في القول المأثور « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » . مرةً ارسلتْ والدة الى ابنها دجاجةً محشية فاتى عليها في وقت العشاء وكان من جرّاء ذلك ان ضافتهُ الحمى تلك الليلة . قال الشاعر

لا بارك الله في الطعام اذا كان هلاك النفس في المعدِ

(٣) النوم – النوم الكافي لازم لزوم الطعام والشراب فلينمْ

التلميذ في الوقت المعين المقدار المعين للنوم ومن فتن بقول الشاعر

تروم العزَّ ثم تنام ليلاً ومن طلب العلى سهر الليالي

فيحاول ان يسرق من وقت النوم للدرس او لشيءٍ آخر يخسر الدرس والنوم معاً . ولتكن نوافذ غرف النوم كافيةً لتجديد الهواء النقي

(٤) النظافة — على التلميذ ان يحافظ على نظافة اعضاء جسمهِ خصوصاً ما كان منها معرّضاً للاتساخ . ولتكن ثيابهُ نظيفةً وخصوصاً ما كان منها مباشراً للجسم . ولا ينسَ تنظيف اسنانهِ فانها أُولى آلات الهضم فاذا اهمل نظافتها خسرها فساءَ هضمهُ واعتلَّ جسمهُ . وليلاحظ في محو الالواح الحجرية ان لا يرطبها بلسانهِ مباشرة واقبح عادة واشد ضرر اذا كان اللوح مستعاراً . ولا يغفل عن تنظيف الجسم كلهِ بالاستحمام بالماء الحار وفي اشهر الصيف حيث يذهب التلاميذ للاستحمام في ماء البحر لا يستعفِ احد من الاشتراك في هذه الفائدة المزدوجة من النظافة والرياضة . ولكن ليحترس من التهوُّر في التوغل لا سيما اوقات اضطراب الامواج فقد يخشى ان يخسر حياتهُ غرقاً وهو يحاول تحسين صحتهِ . قال بعض الامراء لمعلم ابنهِ « علمهُ السباحة قبل الكتابة فانهُ يجد من يكتب لهُ ولا يجد من يسبح لهُ »

(٥) الالعاب الرياضية — بعض الالعاب في المدرسة اختيارية وبعضها قانونية . فمن اهمّ الواجبات ان لا يعفى تلميذ الاّ لعذر صحي باشارة طبيب المدرسة لان جسم التلميذ بحاجة كلية الى الحركة بعد السكون الطويل في الدرس والتسميع . ومن الجهالة ان يسعى التلميذ لانماء عقلهِ مهملاً تقوية جسمهِ . وفي المدارس انواع مختلفة لهذه الالعاب مثل «الدرل» والجري والقفز «والفوت بول» «والباسكتبول» «والفولي بول» واشكال الاهرام وغيرها . وليس من الحكمة في شيءٍ ان يتأبط التلميذ كتبهُ الى ساحة اللعب اذ بينما يتمتع رفقاؤهُ بفائدة اللعب الصحية يتمنع هو عن مشاركتهم في هذه الفائدة الجسدية طلباً للذتهِ العقلية . ولا ننسَ ان حركات الجسم المنظمة بالالعاب المدرسية تمتاز عن الحركات غير المنظمة بالاشغال اليدوية . وهاك بعض الاسباب لهذه الرياضة منقولة عن بعض الفضلاء

١ً للراحة بعد التعب الناتج من الدرس وقتاً طويلاً في مركز واحد

٢ً لدوران الدم في الاطراف بحرية ومنع توارده بكثرة الى الدماغ الامر الذي يسبب امراضاً مزمنة

٣ً لتكبير حجم الصدر الامر الذي يزيد الرئتين حجماً والقلب قوة

٤ً لتربية قوة تحمل الاتعاب الجسدية في التلاميذ

(٦) العفاف — باجتناب المكيفات كالدخان والمسكر ونحوهما واشدُّ ضررها للاحداث في السن · وليتنبه الشبان الى حفظ طهارة السيرة ونقاوة الافكار · ان النظام المدرسي يحظر استعمال المكيفات تحت القصاص ولكن ليعلم حبيبنا التلميذ ان الغاية من التشديد في هذا المنع ليس حرمانهُ لذة ذلك المكيف بل مساعدتهُ للتخلص من الاستعباد لهذا العدوّ الهادم بنيتهُ الجسدية · فسخيف العقل يخترع الحيل لممارسة هذه المحظورات سراً · وهو لا يضرُّ الاَّ نفسهُ · ومثلهُ مثل الهرّ الذي دخل دكان الحداد فاصاب مبرداً فشرع يلحسهُ والدم يسيل من لسانهِ فيبلعهُ وهو يظنهُ من المبرد الى ان فني لسانهُ

(٧) المشاركة في التنزهات — بعض التلاميذ يحتالون ليعفوا من الخروج للتنزه وهذا غير موافق لان ذهاب التلميذ مع رفقائهِ الى البرية مفيد لهُ صحياً وادبياً فاذا بقي خسر الفائدتين

(٨) على التلميذ ان ينتبه في الفرص التي تتخلل ساعات الدرس والتسميع لقضاء كل حاجات جسدهِ لانهُ اذا سها عن شيءٍ من ذلك وشعر باحتياجهِ الى الخروج من غرفة الدرس او التسميع وتعذر عليهِ ذلك سبب الضرر لجسمهِ · والمعلم الحكيم لا تفوتهُ ملاحظة ذلك واستعمال حكمتهِ فيهِ تلافياً للضرر

(٩) واخر الكل اذا شعر التلميذ باقل عارض صحي فعليهِ ان يقصد المنوط بهِ امر الصحة

الفصل الرابع

ما على المعلمين

من الفروع الهامة في دروس المدرسة فرع علم الصحة وهذا يدرّس غالباً للتلاميذ المتقدمين في لغة اجنبية . فكم هو مفيد ان يدرس الاحداث مختصراً بسيطاً في اللغة العربية في هذا الموضوع . ومع هذا وذاك لا غنى عن ان يوجه المعلم عنايتهُ الى التلميذ لتدريبهِ في امور صحتهِ

(١) ان يبين للتلميذ اهمية هذه البركة التي نتمتع بها اعني صحة اجسادنا . وانهُ من الجهالة ان نهدم بيتنا بايدينا فيسقط على رؤوسنا . ويوافق ان يسرد لهُ قصصاً وحوادث عن الذين خسروا صحتهم بسبب اهمالهم اياها . وانهُ مهما سما بقوة عقلهِ وامتيازهِ لا يجديهِ ذلك نفعاً اذا تطرّق الى جسده احد الامراض العضالة . والحديث الشخصي الافرادي يؤثر اكثر من مخاطبة الجمهور

(٢) ان يراعي سنّ التلميذ من جهة قوّة الدروس التي تطلب

منهُ . ويقع تحت هذه التجربة التلاميذ النجباء فانهم يستطيعون ان يتخطوا صفاً او اكثر ويمشوا في الصف الاعلى مع التلامذ الاكبر سناً هذا الامر يرغب فيهِ الولد لتغفلهِ وبعض الوالدين لقلة حكمتهم افتخاراً بتفوُّق ابنهم واقتصاداً في الرسوم المدرسية . والفريقان في خطإٍ مبين نعم ان النظام لا يمنع ذلك علمياً ولكنهُ ينفيهِ صحياً . فعلى المعلمين ان يشددوا في مراعاة سنّ الطالب وصحتهِ في تعيين دروسهِ وترقيته فيها

(٣) ان يراعي في مقاصتهِ امر الصحة فيتجنب كلّ ما يضرُّ بها . من ذلك ان لا يحبس تلميذاً نحيف البنية فيحرمهُ من الاشتراك في اللعب وقت الفرصة . وايضاً لا يؤخرهُ عن تناول الطعام لان الدرس والتعب العقلي يؤثران في المعدة فارغةً اكثر منها في حال الشبع . ونحن في غنى عن الاشارة الى استعمال الضرب ساعة احتدام الغيظ اذ لا يميز المعلم اين تقع يدهُ او عصاهُ وربما اتلف بعض الاعضاء (وسنتكلم بالتفصيل عن القصاصات في باب التربية الادبية)

(٤) ان يقيم نفسهُ مثالاً للتلميذ في كل ما يؤول الى حسن الصحة لانهُ اذا شرع المعلم يبين للتلميذ مضارّ التدخين صحياً وكان التلميذ يعرف ذلك المعلم مدخناً فلا يصغي الى نصائحهِ ولو كان من ابلغ الخطباء واساطين الحكماء . وهكذا الحال في كل امرٍ سواهُ

(٥) عيادة التلميذ المريض حين لا يكون مانع ومحادثتهُ

وتشجيعهُ وعرض ما يلزم لخدمته . فان التلميذ المعتاد ان يحيط بهِ اهلهُ في بيتهِ وقت ضعفهِ يستأنس بوجود معلمهِ بجانبهِ حينئذٍ

(٦) الانتباه الى حيل بعض الكسالى الذين يتمارضون تخلصاً من عناء الدروس والواجبات الاخرى فان مجاراتهم في كسلهم يولد فيهم خلة الغش والكسل والاستخفاف بالنظام . وضع مرةً معلم الملح الانكليزي في كأس فارغة لتلميذ متمارض وذهب ليأتي بابريق ليصب منهُ الماء في الكاس فما كان من ذلك التلميذ الا ان اسرع فافرغ الكاس ووضع سكراً ناعماً فيها بدل الملح الانكليزي دون علم المعلم بذلك ولما اتى بالماء وصبهُ في الكاس وذاب مافيها شربهُ التلميذ المتمارض مظهراً الانقباض وفي سرهِ كان يتلمظ طعم حلاوة السكر . هذه رواية التليمذ عن نفسهِ فلينتبه الموكول اليهم امر الصحة

الباب الثاني

التربية العقليـة

الفصل الاول

قيمة العلم وعموميتهُ

العلم هو الغاية المنشودة من الاهلين واولادهم · هذا هو عمل المدرسة الرئيسي الذي لاجلهِ ينتقى الاساتذة وتنتخب الكتب وتنتظم الاعمال المدرسية · نعم ان المدرسة تعنى بامور اخرى هامة ولكن النفقات الكبرى والاهتمامات الزائدة تنصرف نحو التعليم · ان العلم بذاته يمنح قوةً للمتعلم فتستنير بهِ بصيرتهُ حتى يرى الموجودات بغير العين التي يراها بها الجهول وهذه القوة قوة العقل مفيد تحصيلها اذا أُحسن استعمالها في خير الانسانية وقد تنقلب الى ضرر اذا أُسيءَ استعمالها وللتربية العقلية علاقة بالتربية الجسدية وقد مرّ شيءٌ من ذلك في الباب السابق فكلٌّ منهما تسند الاخرى فكما ان الجسم السليم يحوي

العقل السليم كذلك العقل المستنير بالعلم يعرف الطرق المفيدة لحفظ الصحة الجسدية

ان الامم والشعوب تختصم على بقاع الارض ومحصولاتها من حيوان ونبات ومعادن وغيرها . واما العلم فمشاع مباح تحصيلهُ لكل طالب راغب . فيمكنك ان تذهب الى جامعات بلاد الانكليز وتتبارى مع ابناء اللوردات وتفوقهم وتنال شارات الفوز على ابنائهم من ايديهم دون خصام ولا نزاع . ومتى احتفلت امة بتكريم عالم قام من ابنائها اشتركت معها سائر الامم في تكريمهِ . فلا عداءَ بين الامم بسبب الغنى والفوز العقليين . وها نحن الشرقيين الذين نشعر بضعفنا نرى المجال فسيحًا امامنا لاحراز قصب السبق في العلم في هذه البلاد وفي جميع بلدان المعمور . ولنعد الى موضوعنا الذي هو التربية العقلية في المدارس مبتدئين باول دخول التلميذ الى المدرسة

الفصل الثاني

تعيين التلميذ في الصف

تعرف مقدرة التلميذ العلمية بالامتحان فيوضع في الصف الذي يلائمه حسب استعداده ومقدرته . ومن الغلط وضع التلميذ في صف اعلى من اهليته لانهُ يكون تحت خطر التنزيل الى صف ادنى وهنالك اعتبارات لا غنى عن مراعاتها في تعيين الصف منها سنّ الطالب (وقد مرَّ شيءٌ من الاعتبارات الصحية في هذا الشأن) فاذا كان كبيراً ذا صحة جيدة يتوسم فيهِ الرغبة والاجتهاد ولا ضرر من اجهادهِ قواهُ العقلية بزيادة الدرس فلا باس بتجريبهِ في صفّ اعلى وبالعكس اذا وُجد تلميذ ضعيف البنية او صغير السن ولكنهُ فهيم سريع الخاطر قادر على السير في صف اعلى من نسبة سنهِ فالاوفق بقاؤهُ في الصف الملائم لسنهِ و بنيتهِ لئلا يسرع نمو عقلهِ و يتوقف نموُّ جسمهِ . نعم لابد بعد مضي مدة من احداث تغيير في هذه التعيينات الابتدائية حسبما يرينا الاختبار اليومي ترقيةً وتنزيلاً . واذا التبست الحال بين الامرين فالاوفق تجريب التلميذ في صف ادنى لان ترقيتهُ بعدئذٍ تسرّهُ بخلاف ما اذا أُنزل فانهُ يصعب عليهِ الامر . البعض يطلبون

ان يرتقوا الى صف اعلى باستعداد اشهر الفرصة الصيفية . هذا ممكن للمتازين في الصفوف الابتدائية اما في الصفوف العليا فلا يوافق على الغالب لعدم امكان الطالب تحصيل دروس سنة كاملة ثقيلة باستعداد جزئي قاصر فيخسر التضلع من بعض الفروع العلمية التي لا غنى عنها . فلا يكفي للترقية ان الطالب يستطيع السير مع تلامذة الصف الاعلى المطلوب

الفصل الثالث

الدرس وتحصيل المعرفة

كثرت فروع الدروس من لغوية ورياضية وطبيعية وتاريخية وغيرها . وشاعت رغبة التنافس في زيادة الدروس لان الاحوال الحاضرة حملت على ذلك . وانما الثقل والعناء يقعان على ارباب المدارس وعلى التلاميذ ويلحقان الاهل ايضاً . اذ بزيادة الفروع تزداد سنو الدراسة فتزداد النفقات على الوالدين . واما من حيث الاستفادة العقلية فهذه بعض ملاحظات بشأن ذلك

(١) نوع الدروس — حبذا لو كثرت الدروس التي يمس موضوعها حالتنا الاجتماعية وتكون مما يوافق حياة الطالب المقبلة في

اشغالهِ الاقتصادية فهو بهذا النوع من الدروس يستعد لامور معقولة عندهُ يدرك بسهولة الغاية منها مثل علم الصحة والاقتصاد والتاريخ ومبادىء الحقوق ونظام الاجتماع والحساب التجاري والاختزال والكتابة بواسطة الآلة وما شاكل ذلك . نعم ان سائر الدروس من لغوية ورياضية وطبيعية لا تنكر افادتها ولكنها على الغالب نظرية . وياليت المدارس تتفق على لوائح للدروس متماثلة او متقاربة لما في ذلك من الفائدة

(٢) ترتيب الدرس — المدرسة تعين اوقاتاً معلومة للدرس ولكن افضل ترتيب هو ما يسبق فيهِ وقت درس لكل وقت تسميع واقلهُ فائدةً ترتيب تسميعات كثيرة متوالية دون ان يتخللها فسحات استعدادية للدرس

(٣) كيفية الدرس — بعض التلاميذ يجهدون انفسهم وينفقون من قواهم على غير طائل فلا يحصلون ما يوازي هذا التعب وذلك لجهلهم الطريقة الانسب . فعلى المعلم ان يرشدهم في بداءة الامر الى الطريقة الحسنى للدرس المفيد . ومتى وجد متسعاً من الوقت يوضح لهم ما غمض فهمهُ من دروسهم . ولا يغلب اليأس على التلميذ اذا وجد الدروس كثيرةً وصعبةً فانهُ مع التقسيم والترتيب والانتباه وامعان الفكر والصبر يصبح الصعب هيناً

(٤) راحة التغيير — حينما يشعر التلميذ بتعب وملل في احد الدروس يقلُّ ادراكهُ لحقائق ذلك الدرس فوالحالة هذه اذا تحوَّل عنهُ الى درس آخر يشعر براحة يسهل معها ادراكهُ المطلوب

(٥) المساعدة — مساعدة تلميذ لآخر في الاوقات المباحة لذلك مفيدة للمساعِد والمساعَد معاً وفي الاوقات المحظورة تحسب تشويشاً او غشاً

(٦) درس اللغات الاجنبية — مهما برع الاستاذ واجتهد التلميذ وغزرت المادة المحفوظة لا تغني فتيلاً عن تعيين وقت يكون التكلم فيهِ اجبارياً باللغة الاجنبية . فسنة تمرين في الكلام افضل من ثلاث سنين درس قواعد فقط

(٧) اذخار الفوائد — ليقتنِ التلميذ دفتراً في جيبهِ يثبت فيهِ كل فائدة وقع عليها استحسانهُ اية كانت فانهُ بذلك يشبه من يوفر نقوداً لاستخدامها وقت الحاجة اليها . واذا راقتهُ فائدة ممتازة فلا باس باستظهارها . قال بعضهم بهذا المعنى « اقرأ احسن المؤلفات واكتب احسن ما قرأت واحفظ احسن ما كتبت وأورد احسن ما حفظت فتكون قد صفيت الحقائق واتيت بالزبدة الخالصة المختارة » قال الشاعر

ليس في الكتب والدفاتر علمٌ انما العلم في صدور الرجالِ

(٨) المطالعة — وهي الدرس الاختياري اما في موضوع المثائل المطلوبة من التلميذ او في مواضيع اخرى . والمدرسة تنتقي مكتبة وتشترك ببعض المجلات والجرائد المفيدة تسهيلاً للمطالعة . واعتياد التلميذ هذا النوع من الدرس يربي فيهِ ملكة تستمر معهُ كلَّ الحياة ونعمَ الملكة هذه . ولكن لنحذرهُ من الكتب المضرَّة والروايات القبيحة المغزى التي تصل الى يدهِ من عشراء السوء فانها تأخذ من وقتهِ اللازم للدرس القانوني فضلاً عن تأثيرها الضارّ في النفس . قال شوقي بك في المطالعة المفيدة

انا من بدَّل بالكتب الصحابا لم اجد لي وافياً الا الكتابا
صحبة لم اشكُ منها ريبةَ ووداد لم يكلفني عتابا

(٩) الملاحظة العامة — ان الكتب بعض الوسائل لايصال المعرفة الى الذهن ولكن الطالب الحاذق تكون حواسهُ جميعها ابواباً مفتوحة لاقتباس المعرفة والحقائق مما يشاهدهُ في كل ما يحيط بهِ من انواع الموجودات الارضية والسماوية

الفصل الرابع

التسميع

البحث الاول

الادارة

(١) من الموافق ان يحضر المعلم الى الصف قبل التلاميذ

(٢) اذا جلس كل تلميذ في مكانهِ اول مرّة فدعهُ يحافظ دائماً على مكان جلوسهِ . واجعل تغيير الامكنة منوطاً بك لا بهوى التلميذ

(٣) اصطلاح بعض المدارس ان يبقى التلاميذ في غرفة خاصة لكل صفّ مثالة بعد مثالة ومجيء المعلم اليهم وان كان فيهِ شيء من الهدوء واقتصاد الوقت يسبب مللاً واعياءً للتلاميذ . فدعهم ينتقلون من غرفة الى اخرى ولو ضاع بعض الوقت وحصل قليل من التشويش فان انتقالهم يكسبهم انتعاشاً في قواهم العقلية يجعلهم اكثر انتباهاً للتسميع المتوالي

(٤) يجب ان يمتلك المعلم قياد التلاميذ للاصغاء والانتباه حتى تدخل الحقائق الى اذهانهم — روى احد العلماء عن معلمة قال :

« اعرف معلمة كنت تلميذاً لها لا يتحوّل انتباهُ التلميذ حتى ترى عينها النقادة المتقدة ذلك فتردّهُ الى الانتباه . وكنت اراها توقف التلميذ في منتصف العبارة وتسأل غيرهُ ان يتمها وكانت شديدة التدقيق الى درجة القساوة ولكنها كانت معلمةً . وقد تعلمنا منها كثيراً وكانت تعرف حق المعرفة كيف تبقي الصف تحت سيادتها »

(٥) كن مترفقاً طويل الاناة على التلميذ البطيء الفهم ولا تقس ادراكهُ على حذاقتك ولا تقابلهُ بسريعي الفهم من رفقائهِ . فلا تحنق عليهِ ولا تشبعهُ توبيخاً . واعلم حق العلم ان كل تلميذ يريد ان يعرف جيداً خصوصاً اذا آنست من ذلك التلميذ الاجتهاد والبعد عن الكسل والتهاون . واما اذا حنقت عليهِ فانك تثير فيهِ عاطفة الغيظ او الخجل فتزيدهُ عمى قلبٍ . وكان الاولى بهِ الرفق والتوَدة

(٦) اجتهد لكي لا تجعل ساعة التسميع مملة . واكبر خطإٍ ان تظهر عليك انت سيماءُ الملل فان ذلك مدعاة لملل تلاميذك . بل كن مشرق الطلعة انيس المحضر بادي البشر . ولا باس بايراد نكتة مضحكة ترويحاً للعقول الكليلة وانعاشاً للقوى الخائرة . والاَّ فاذا مللت اولاً وجدت بعض التلاميذ قد نعسوا وناموا . فلا تحنق كثيراً على التلميذ النائم لان نصف السبب منك انت وربما كان لذلك النائم

عذرٌ وانت تلومهُ . وعلى ذكر النوم نروي لك هذه الحادثة — «رأت معلمة تلميذاً من تلامذتها ينام فأيقظتهُ بعنف وفي الغد رأتهُ كذلك فهزَّتهُ هزاً عنيفاً وهدَّدته بشكواهُ الى الرئيس ان عاد فنام ولكنهُ عاد فنام فارسلتهُ الى الرئيس بتذكرة حالهِ . فاخذهُ الرئيس وسألهُ بلطف عن حقيقة سبب نومهِ ولما آنس اللطف اخبرهُ انهُ يتيم وامهُ تغسل كل يوم لتحصيل المعيشة ودفع اجرة البيت . وهو يقوم الساعة ٤ ق . ظ يوزع جرائد الصباح في اطراف المدينة ويعود جائعاً مقروراً فينعس بعد الظهر ولا يستطيع الانتباه مع مقاومتهِ الشديدة للنوم . فطيب الرئيس خاطرهُ واخبر المعلمة اللازم »

(٧) لا تكثر من الاطناب في المتقدمين لان هذا قد يفضي بهم الى العجب ولا تنحِ باللائمة على المقصرين والضعفاء لئلا نقضي على عزَّة نفوسهم

(٨) حين يقرع الجرس اعلاماً بانتهاء وقت التسميع لا تؤخر التلاميذ عن الانصراف الى الصف الآخر لئلا يخسروا وانت تحسب انك تزيدهم فائدة

البحث الثاني

الطريقة

بعض المدارس العليا يشغل فيها وقت التسميع بالقاء خطب في المواضيع المعينة من الاستاذ والتلاميذ يصغون او يكتبون ما يعونهُ ويدرسون حيث شاءوا عن ذلك الموضوع . والنظام الشائع عندنا تعيين مثالة في كتاب معلوم يدرسها التلميذ ويسأل عنها ساعة التسميع . ومعلوم ان الاعتماد الاكبر هو على التسميع في معرفة ما حصلهُ التلميذ وفي الوقت نفسهِ تكشف لهُ حقائق الموضوع . وهذه بعض ملاحظات في شأن طرق التسميع

(١) ان وقوف المعلم ساعة التسميع يمكنهُ من إحاطة النظر بالصف كلهِ وخصوصاً اذا كان كبيراً . وفي الطقس الحارّ يحفظ قواهُ في حالة النشاط فيبعدهُ عن الملل والتراخي

(٢) لا يوافق ان يكون اكثر الكلام للمعلم فيفيض في الشرح اظهاراً لسعة علمه فلا يصبر على التلميذ البطيء الفهم بل يسبقهُ في الجواب

(٣) التسميع الشفهي فيهِ مجال لزيادة فهم التلاميذ في الاخذ

والعطاء ولكن التسميع الخطي اكثر عدالةً لاختبار معرفة كل تلميذ فضلاً عن انهُ يشمل الجميع وخاصة اذا كان الصف كبيراً لا يكفي الوقت لقسم منهُ في التسميع الشفهي . فالاحسن التراوح بين هذا وذاك

(٤) استعمال اللوح الكبير اكثر الاحيان يفيد التلاميذ ويرسخ القضايا في اذهانهم لانها تدخل عقولهم من بابي الاذن والعين وللمشتغل من باب اليد ايضاً

(٥) اعطِ فرصةً بعض الاوقات لمن يريد من التلاميذ ان يسأل عن بعض قضايا الدرس . وكن متحذراً في اجوبتك لئلا تسقطُ امام التلاميذ بالجواب الضعيف . وهذا يوجب ان يكون استعدادك وافياً وأبقِ في فكرك ان من التلاميذ من هم اذكياء مقتدرون لا تتخلص بسهولة من سؤالاتهم

(٦) افتكر من وقت الى آخر في تهيئة اساليب جديدة في نسق التعليم فانك بذلك تبثُّ في تلاميذك الرغبة والاهتمام . يروى عن سقراط الفيلسوف انهُ كان في شيخوختهِ ماشياً في شوارع اثينا يلاحظ كل شيءٍ بدقة فرأى شاباً عليهِ سيماءُ الكرام يجري نحوهُ فلما داناهُ تنحى للفيلسوف الشيخ عن الطريق فهوتْ عصا سقراط الى الارض فاسرع الشاب والتقطها واعطاها لسقراط معتذراً . ثم سألهُ سقراط

أَتدلني اين يباع الخبز ؟ فاجابهُ على يسارك عند راس هذا الشارع . ثم سأَلهُ أَتدلني اين تباع الحكمة فقال لا ادري مبيعاً لذلك . فقال لهُ سقراط اذاً يا ابني اتبعني وتعلم . ولم يكن ذلك الشاب غير كزينفون صديق سقراط »

(٧) لا تتخطَّ مثالةً الى اخرى حتى تكون قد أُتقنت الاولى وفُهمتْ تماماً

(٨) تسميع مراجعة ما درسهُ التلميذ في شهر او اكثر يستدعي عناية خاصة كتابياً كان او شفهياً . لان التلميذ بمروره ولو بسرعة على ماضي دروسهِ يعيد محواها الى ذهنهِ ويزيدها رسوخاً

البحث الثالث

السؤالات

(١) قبل ان تبدأَ بتسميع المثالة الجديدة يوافق ان تسأَل بضعة اسئلة عن المثالة السابقة لربط معاني المثالتين

(٢) لا يسوغ ان تكون السؤالات كالغاز مستعصية على الافهام . ولا واضحة الى درجة انها تكشف الجواب المطلوب ولا على كيفية لا تستدعي من الاجوبة الاَّ نعم ولا

(٣) على المعلم ان يذكر السؤال قبل تعيين التلميذ المسؤول ليكون الجميع منتبهين لاستيعاب السؤال . لان هيئة الانتباه الظاهرة لا تدلّ دائماً على الانتباه الحقيقي . قال بعضهم عن نفسهِ «ان سيدةً شكرتني مرةً على حسن إصغائي وهي تتلو صحيفةً في اجتماع تهذيبي فكانت عيناي متوجهتين اليها ولكن لا انتباهاً الى الموضوع بل كان على راس السيدة مشط كبير منحل عن الشعر يكاد يسقط وكل حركة من راسها تخيف الناظر الى المشط من سقوطهِ الى الارض»

(٤) لا تجعل الاسئلة بالدور فان ذلك يحمل التلميذ على ان يصغي متى قرب الدور منهُ ومتى تجاوزهُ سمح لفكرهِ ان يسيح في عالم الخيال . ولا بأس بسؤال التلميذ الواحد اكثر من مرة ولو حرم غيرهُ من السؤال احياناً . ومن النكت المضحكة التي تروى عن السؤال بالدور انّ احد المعلمين الاغبياء اذ عرف بمجيء الناظر لفحص مدرستهِ علم احد الصفوف قسماً من كتاب «التعليم المسيحي» بان عين لكل تلميذ ان يجيب عن السؤال الذي يصيبهُ لا غير . ولما حان الامتحان وكان الولد الاول غائباً سأل الناظر الولد الثاني اول سؤال «من خلقك ايها الولد» ؟ فلم يجب فكرّر السؤال فلم يجب فتعجب الناظر من عدم معرفتهِ اول سؤال وقال لهُ ألا تعرف ان تقول «خلقني الله» ؟ فاجابهُ الولد بخجل ودموع : يا سيدي الذي خلقهُ

الله غائب انا خلقت من تراب الارض لان نصيبهُ كان الجواب الثاني حسب تعيين استاذهِ اللبيب

(٥) يسوغ احالة السؤال الذي لم يجب الى تلميذ آخر ولكن ليس بطريقة جاهلية المدارس ان العارف يضرب او يفرك اذن الغشيم او يقف في مركز اعلى منهُ

البحث الرابع

العلامات والمكافآت

ان العلامات والامتيازات والجوائز امور تستعملها المدارس للترغيب والحث على زيادة الاجتهاد لاكتساب المعرفة . فيعطى كل تلميذ تذكرة شهرية تتضمن درجتهُ في كل فرع من فروع دروسهِ ليعرف مركزهُ . ان هذا الاصطلاح لا يخلو من فائدة ولكنهُ يجعل التلميذ يدرس لاجل الحصول على درجة عالية بين رفقائهِ وليس لتحصيل العلم نفسهِ . فحبذا الوقت الذي يمكن فيهِ الغاء كل ذلك حينئذٍ يشعر التلميذ انهُ يدرس العلم لاجل العلم نفسهِ طلباً للذتهِ وفائدتهِ . لان هذه المشوّقات والمرغبات ينقضي زمانها بعد انتهاء التلميذ من المدرسة واما طالب العلم لذاتهِ فيستمرُّ في طلبهِ طول الحياة

الباب الثالث

التربية الادبيـة

الفصل الاول

الكمال الادبي ولزومهُ

سبق معنا الكلام عن التربية الجسدية والتربية العقلية وهما تساعدان التربية الادبية كما انها هي تعضدهما ايضاً ان نتيجة هذه التربية قريبة الظهور بين الناس اذ يمكنهم بسهولة الحكم على صفات التلميذ وليس كذلك على علومهِ ومميزاتهِ الاخرى . واذا نجحنا في التربية الادبية نقضي واجباً من اهمّ الواجبات ونكتسب اسماً جيداً لمدارسنا . ان حسن صحة التلاميذ كبير الاهمية . وكذلك اكتسابهم العلوم ولكن لنفرض ان الوالدين وجدوا اولادهم بعد خروجهم من المدرسة جيدي الصحة نوابغ في المعرفة ولكنهم يا للاسف غير مهذبين شرسو الاخلاق متنفخون كبرياء يشمخون بانوفهم على اترابهم حتى انهم يستهينون بوالديهم ويقللون من احترامهم لان لبعضهم مظهر البساطة

والامية . مع انهم هم الذين انفقوا على تعليمهم من جهود عرق وجهوههم وحرموا انفسهم لذاتها مؤثرين خير اولادهم على انفسهم فكانت النتيجة ما كانت . يحق لمثل هؤلاء الوالدين ان يندموا على ارسال اولادهم الى المدارس المعروفة لدى الجمهور بمراكز التهذيب . حقاً ان المدارس التي ينشأ تلامذتها على مثل هذه الصفات هي تحت اللوم الشديد . وبالاسف اروي حادثة اطلعت عليها في احد كتب التهذيب وهذه هي : كانت سيدة مسافرة في السكة الحديدية فاتفق وجودها مع زمرة من تلامذة احدى المدارس في غرفة القطار فكانت تسمعهم يتكلمون باقبح الالفاظ غير مكترثين لآثار الانزعاج البادية على محياها وبالحقيقة انها تمرمرت لوجودها بين زمرة قليلي التهذيب كهولاء . فما كان منها الاَّ ان التفتت اليهم وفتحت الحديث معهم فاشرقت اسرَّتهم واعاروها آذاناً مصغيةً فسالتهم : أتحسنون التكلم باللغة اليونانية ؟ فتسابقوا الى الجواب — نعم . فقالت اذاً ارجوكم ان تتخاطبوا باليونانية لاني اجهل فهمها . تعني انها تأنف من استماع حديثهم غير المهذب . فوجموا صامتين . وما ان وصل القطار الى اول محطة حتى تسللوا واحداً واحداً الى غرفة اخرى تاركين تلك السيدة وحدها . وحبذا الوحدة

وحدةُ الانسان خيرٌ من جليس السوءِ عندهْ
وجليس الخير خيرٌ من جلوس المرءِ وحدهْ

اننا نعلم تلامذتنا العلوم المختلفة لنؤهلهم لتسنم المراكز السامية وليفيدوا امتهم ووطنهم . فاذا اغفلنا امر تهذيبهم في الاخلاق الفاضلة نخطئ المرمى ونخيب في قصدنا . لان اصحاب الاشغال الذين ننتظر ان يجد تلامذتنا مناصب عندهم يسالون اولاً عن الصفات وحسن الادارة قبل السؤال عن النبوغ والمهارة وقد لا يلتفت الى بعض نجباء الطلبة لفساد آدابهم وقلة مروءتهم وشموخ انوفهم . فيسبقهم المتحلون بالاخلاق القويمة ممن هم دونهم معرفةً وذكاءً الى التربع في دست تلك المناصب . قال الشاعر المجيد حليم افندي دموس

فان ملنا عن الاخلاق نهوي وان ملنا الى الاخلاق نرقى

وقال بعض الحكماء « الانسان من غير اخلاق كالعامل من دون ادوات عمل و كالجندي من غير سلاح و كالسائح بلا دراهم »

كلنا نعرف قصة الرجل الذي اعلن طالباً مستخدماً لاشغال مركز فارغ عنده واذ اجتمع لديهِ الطلاب ومعهم اكثرهم كتب وصاة وشهادات ناطقة بكفاءتهم طوى كشحاً عن الالتفات الى شهاداتهم واختار فتى متوسط الحال لا كتاب ولا شهادة بيده ولكنهُ رأى فيهِ الشاب المهذب المدرب من ملاحظة حركاتهِ في تصرفهِ اثناء وجودهِ لديهِ . لان المرء بآدابهِ لا بثيابهِ و بكمالهِ لا بجمالهِ و بحسبهِ

لا بنسبهِ وقد قالت الامثال « شهادات الفعال خير من شهادات الرجال »

اننا لا نأسف كثيراً اذا عجزنا عن انهاض ساقط في دروسهِ ولا نيأس من نجاحهِ في العالم اذا حرم نيل الشهادة المدرسية ولكننا نأسف كل الاسف اذا القينا سلاحنا امام تلميذ شرير سيء الاخلاق وقد عجزنا عن اصلاحهِ . الاول هو المقصر في دروسه والثاني نحن المقصرون في اصلاحهِ . ان واجب المدرسة الاول ليس ان تخرج علماء اعلاماً بل ان تخرج رجالاً نافعين

ان الامم التي سادت في التاريخ انما كانت سيادتها لصفات ممتازة كانت في اخلاقها فارتقت بها وتقوّت وتغلبت على سواها من الامم . ولكنها حين انحطت آدابها وتخلت عما تحلت بهِ من سامي الصفات بانصرافها نحو الدنايا والخلاعة والفجور ومحبة الذات ودوس الحقوق والانقسام اشياعاً لشهوات النفس الامارة بالسوء دبّ سوس الفناء في جموعها وتدهورت من حالق عزّها . واذا راجعت تاريخ كل امة وجدت هذا شأنها ارتقاءً وانحطاطاً ولذا قال الشاعر واجاد

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هُمُ ذهبتْ اخلاقهم ذهبوا

الفصل الثاني

بعض مبادئ عامة في التهذيب المدرسي

(١) افتقارنا الى هذا التهذيب — اننا مفتقرون في بلادنا الى الآداب المدرسية اكثر من غيرنا لنقص التربية البيتية في بعض الاسر فانك ترى البعض لا غاية لهم في تربية اولادهم وخاصة الصبيان سوى ان يعيشوا فكانّ الحياة الجسدية هي كل شيء . او يتوهمون ان كبح جماح الصغار الشاذين يقصر من اعمارهم وهذا وهمٌ باطل وجهل فاضح . فصار على المدارس ان تسدّ هذه الثلمة وترقع هذا الخرق الواسع وبالحقيقة انهُ لحملٌ ثقيل على عاتق المدارس اي ان تقوم بواجب الوالدين والمعلمين في وقت واحد . ولكن والحالة هكذا لا مناص من ان ننهض بهذا العبء الثقيل الهامّ

(٢) ان التهذيب عمل المدرسة الاهمّ — فاذا أتقنت المدرسة كل اعمالها وأهملت هذا الامر الجوهري فكانها لم تعمل شيئاً لا بل تكون قد اعطت التلميذ سلاحاً ضاراً بما اكسبتهُ اياهُ من القوى العقلية . وعليهِ اذا اعطيتُ تلميذاً شهادة المدرسة مع ارفع علامات الامتياز ولكن بقي ضميري متعباً بسبب عدم تهذيب اخلاقهِ اكون قد

عملت شراً لا خيراً · وبالعكس اذا آنست من تلميذ قضى في مدرستي سنةً واحدةً او بعض السنة ان اخلاقهُ قد استقامت وطباعهُ تحسنت احسب اني قد قطعت أبعد مرحلة في سبيل خدمتي لهُ

(٣) الآداب العامة والخاصة — التلميذ في المدرسة عليهِ واجبات ادبية خاصة ليست على الذين هم خارج المدرسة · واعني بها ما يطلبهُ النظام المدرسي مثل مراعاة الصمت وقت الدرس العام والترتيب في الجلوس والوقوف والانتقال من غرفة الى اخرى والاقلاع عن التدخين والاسراع الى التلبية حين قرع الجرس وغير ذلك · كما وانهُ مطالب بالآداب العامة المتعارفة عند الناس خارج المدرسة · الاَّ ان المحافظة على احد النوعين تدعم النوع الآخر وتمهد السبيل لهُ

(٤) موافقة سنّ التلميذ — ان السنّ التي يكون فيها التلميذ في المدرسة هي الوقت الملائم لتكوين اخلاقهِ حسنةً كانت ام قبيحة فعلينا ان نغتنم هذه الفرصة الثمينة لكي نغرس في عقول وقلوب تلامذتنا حب الفضيلة وكره الرذيلة · ونعوّدهم على عمل الخير ومحبة الآخرين · واما اذا تغافلنا عن اتمام هذا الواجب فانهم يملأُون عقولهم الغبية القاصرة من سفاسف الاباطيل وفاسد الاخلاق

(٥) فيها النفع والضرر — كثيرون يكتسبون اثناء وجودهم

في المدرسة اخلاقاً طيبة اذا كانت من المدارس التي تعنى بتهذيب الاخلاق . وليسوا بقليلين الذين تسوء طباعهم بمعاشرتهم بعض الرفاق من التلاميذ الاردياء . فهل يرتاح ضميرنا اذا قال لنا احد الوالدين ان ابنهُ كان قبل دخولهِ المدرسة اكمل آداباً واوفر تهذيباً منهُ بعد خروجهِ منها . فلنستعد لذلك اذا كنا مهملين واجباتنا . كما اننا نقبل بفخر وسرور ثناء الوالد الذي يشهد بتحسين اخلاق ابنهِ واستفادتهِ من تهذيب مدرستنا

(٦) محكّ الصفات — تجد بعض الطلبة يتزلفون اليك بتظاهرهم بالآداب مع ان باطنهم ينافي ذلك . فلكي تكشف حقيقة الامر استعمل هذا المحكّ . لان الطبيب الحاذق يعرف اولاً الداء ثم يصف الدواء . ومحكُّ الصفات «مراقبة الالعاب والمعاملات العادية» فالالعاب سواءٌ أكانت بسيطة كالتسليات الاعتيادية او عنيفة كالالعاب الرياضية . فان المحافظة على القانون والتدقيق في اتباع النظام ولو مع الانغلاب يدلك على المبدإ الشريف . واما الذي يطلب الفوز بكل وسيلة حقة كانت او باطلة فاعتبر ذلك منهُ ضعفاً في المبدإ الادبي يعرّض صاحبهُ لعدم الاعتماد عليهِ . وفي المعاملات اليومية كواشف مختلفة لاخلاق الناس . اذكر اني اعطيت احد الباعة في صيدا قطعة نقود معدنية قيمتها خمسة غروش ولما تناولها وادار ظهرهُ ليضعها في

صندوقهِ عاد فالتفت اليّ وناولني القطعة قائلاً هذه ليرة عثمانية وكان قولهُ صحيحاً . فعظم الرجل في عينيّ . قال الشاعر

ان الرجال صناديقٌ مقفلةٌ وما مفاتحها غير التجاربِ

الفصل الثالث

حفظ النظام

(١) وضع الانظمة — قصد احد رؤساء المدارس ان يجمع من انظمة غيرهِ قانوناً مستوفياً مدققاً فكتب يسألني عن قوانين مدرستنا وطلب مني نسخةً منها . فاجبتهُ لا قانون مكتتباً لمدرستنا سوى المتعارف بين التلاميذ ولا نضع مادة نظام الا متى احتجنا اليها . لاننا نخشى اذا دققنا في كليات الذنوب وجزئياتها ان ننبه التلاميذ الى ذنوب لا يعرفونها . وفي اعتقادي ان الولد المهذّب يميز باقرب وقت الجائز من غير الجائز

(٢) النظام والحرية — يتوهم البعض ان النظام نوع من الاستبداد او الاستعباد مع انهُ ضامن لحرية العباد وامن البلاد . والخطأ هو في تعريفنا للحرية وشطط البعض في تفسيرها على مبدإٍ اباحيّ

مطلق ان حرية كهذه هي الهمجية بعينها ونتائجها اشد هولاً من سلاسل العبودية . لان للحرية الصحيحة حدوداً سورها حقوق الآخرين . فلا يسوغ ان تدوس شيئاً من حقوق غيرك اشباعاً لمطامعك الاشعبية

(٣) حد عن الشر واصنع الخير — او الفضيلة السلبية والايجابية . هذا هو روح النظام . ان الذي يتجنب عمل الشرّ يحسب ثلث الرجل الكامل وكمالهُ من النوع السلبي . واما من يسعى من طبعهِ لصنع الخير فذلك هو الرجل الكامل الذي تطوّبهُ الاجيال

(٤) التدقيق والحزم — ان هذا لا ينافي التساهل احياناً والسرُّ كلهُ في مراعاة الاحوال وحسن الاسلوب والتصرُّف بالحكمة . فاذا عرفتَ حازماً منصفاً حفظتَ مقامك وايدتَ نظامك

(٥) احفظ خط الرجعة — يعني أَبقِ لنفسك منفذاً للتخلص في معاملة تلاميذك . لئلا تصل الى موقف حرج يعسر عليك التخلص منهُ . وباصرح عبارة « اذا اردت ان تطاع فسل ما يستطاع »

(٦) المعلم والتلميذ ازاء النظام — نظام الاداب العامة هو واحد للمعلم وللتلميذ . وعليهِ اذا قصر تلميذ في تسميع مثالة او سقط في زلةٍ وخاطبهُ استاذهُ بمثل هذه الالفاظ : يا بليد ياحمار ياتيس — الى آخر قائمة الالفاظ المحقرة حسبما يحضر منها في ذهن ذلك الاستاذ .

والحالة هكذا فان كان التلميذ لين العريكة واسع الطبع صمت واحتمل واعتذر بما حضر . واما اذا كان ذا عنفوان او كما يسمونهُ وقّافانهُ يجيب بالفاظ خشنة و يخشى ان يردّ للمعلم الفاظهُ في وجههِ وهنالك الطامة الكبرى . رويدك يا اخي الاستاذ انك غير مبرّإٍ في قذفك كلمات التحقير للتلميذ . نعم هو مخطئٌ ولكن البادئ بالشر اظلم . عرفت عن معلم في مدرسة كلية شكا تلميذاً الى رئيس المدرسة بان دعاهُ كلباً ولما عرف الرئيس ان المعلم دعا التلميذ كلباً اولاً طوى كشحاً عن المسألة

الفصل الرابع

المجازاة والمكافآت

(١) الجوائز — بعض المدارس تمنح جوائز لاجل عمل مروءة وحسن سلوك . وهذا الاصطلاح يستحسنهُ البعض تنشيطاً وترغيباً للنسج على منوالهِ . وبعضهم لا يرون لزوماً لهُ لكي يصدر عمل الخير من التلميذ عفواً حباً بالخير لا لنيل المكافأة

(٢) علامات السلوك — اصطلحت بعض المدارس على ان تحفظ في سجلّ خاصّ علامات تدلُّ على درجة التلميذ في السلوك . ان

الطريقة المعمول بها لا تسلم من الانتقاد وهاك وجههُ : اننا نقيد على التلميذ متى خالف النظام علامة او علامات ومجموع هذه العلامات في آخر الشهر ينقص من درجة سلوكهِ باعتبار السلوك الكامل مئة . فروح الانتقاد هو هذا : قد يكون التلميذ هادئاً خاملاً لا يأتي بحركة مزعجة فينال علامة المئة بينما تلميذ آخر من طبعهِ الحركة يعسر عليهِ ضبطُ نفسهِ وهو لا يخلو من الصفات الكريمة فينال علامات سلوك تحدرهُ الى الدرك الاسفل . فهذه العلامات لا تدلُّ حقيقةً على اخلاق التلاميذ فضلاً على ان حسن السلوك معها من النوع السلبي . وقد خطر على بالي رأي جديد في هذا الشأن وهو : ان نحسب اعلى علامة لعدم مخالفة النظام ثمانين او تسعين لا مئة . ثم بالمخالفة تسفل نازلاً كما انها ترتفع صعداً باتيان الصالح كعمل المروءة ومساعدة القاصرين وخدمة الضعفاء وارشاد الاغبياء والسعي في سبيل السلام والاصلاح والامانة والتدقيق في اتمام الواجبات ونحو ذلك مما نضع لهُ علامات خاصةً نسميها العلامات البيضاء وعكسها سوداء . فهذه العلامات البيضاء ترفع درجة السلوك نحو المئة او انها تميت بعض العلامات السوداء اذا وُجدَت . وهذه الطريقة اقرب الى الصواب وقد جربنا بموجبها مؤخراً في مدرستنا

(٣) الاغضاء والمسامحة — في بعض الاحوال هذه الطريقة حسنة

واشدُّ تأثيراً في اصلاح التلميذ ومما يؤيد هذه النظرية اولاً — ان التلميذ من طبعهِ يميل الى الطاعة والمخالفة عرَض وربما كانت لدافع قوي مجهول عندنا . ثانياً — ان حالة التلميذ الصحية قد يكون لها تأثير على اخلاقهِ ولا يمكنهُ التخلص منها بسهولة ما لم تزَل تلك الحالة الجسمية . ثالثاً — ربما كانت المخالفة عن غير قصد . الى غير ذلك من الاحتمالات التي تخفف جرم المذنب . فاذا تجاهل المعلم احياناً وأغضى عن التلميذ او اذا رأى لزوماً ان يدعوهُ اليهِ ويرشدهُ بروح المحبة الى السلوك الحسن يبثُّ فيهِ حقيقة الشعور بخطإهِ ومحاولة اصلاحهِ قال الشاعر

ليس الغبيُّ بسيدٍ في قومهِ لكنَّ سيد قومهِ المتغابي

(٤) القصاص — ان مقاصة التلميذ تقتضي حكمةً وقوة ابتكار وعدلاً ومحبةً . ونظراً لاهمية هذه المادة اذكر بعض ملاحظات بشأنها

اولاً — لا تقم نفسك رقيباً ملازماً للتلميذ تحصي حركاته وسكناتهِ وتعدُّ عليهِ انفاسهُ حتى اذا سقط في زلةٍ جزيتهُ حذوَ النعل بالنعل والقذة بالقذة

ثانياً — لا تسرع في فرض القصاص بل تروَّ قبل اصدار الحكم

خصوصاً اذا كنتَ متأثراً بالغضب فاصبر حتى تفثأ سورة غيظك

ثالثاً — اجتهد ان تجعل التلميذ يشعر بغلطهِ ويعرف درجة جرمهِ وعدالة مقاصتهِ وان الغاية من القصاص خيرهُ هو

رابعاً — لا تدع سبيلاً لتوهم التلميذ ان غايتك في قصاصهِ تذليل نفسهِ بل ردهُ الى الصواب واصلاح السيرة

خامساً — حين يعلن التلميذ قبولهُ للقصاص المفروض يحسب كانهُ قد أتمَّ نصفهُ فلا بأس بتخفيفهِ او المسامحة بهِ احياناً

سادساً — يجب التمييز في المعاملة بين التلميذ الجديد والتلميذ القديم وبين الكبير والصغير وبين من ارتكب الذنب لاول مرة ومن اتاهُ مراراً عديدة وبين من أخطأ عمداً ومن اخطأ سهواً او جهلاً

سابعاً — لا تستعمل الكلام المهين كقصاص فانهُ يزيد روح الشرّ في التلميذ ويحول بينهُ وبين الاستفادة ويحط من مقام المعلم

ثامناً — لا تحمل نفسك مسؤولية استعمال الضرب — لانهُ يخالف النظام المدني فوق مخالفتهِ النظام المدرسي . ولانهُ يدلّ على ضعف سياسة المعلم فهو حيلة من لا حيلة لهُ في السياسة المدرسية . ولان تأثيرهُ وقتيٌّ قد لا يتجاوز مدة الشعور بالالم . ولان المتمدنين قد اجمعوا على انكارهِ . ولانهُ يخشى ان يضرَّ او يتلف احد اعضاء

الجسد . قيل ان معلماً امات تلمذاً من ضربة كفهِ . وقد جاء في «مجلة الطبيب» بخصوص القصاص بالضرب ما نصه «بئس العادة ضرب التلامذة بالاكفّ والعصي ورفسهم بالارجل وربطهم بالفلق الى غير ذلك من العادات القبيحة التي تدلّ على قساوة المعلمين ولطالما حدث من جراء ضربة المعلم موتٌ او تعطيل ونشأت الدعاوي والقيل والقال . فبناءً على ذلك حظرت الحكومة السنية على مكاتب السلطنة ضرب الطلبة واقرّت نظارة المعارف على عزل من يتجاسر منهم على المخالفة مع احالتهِ الى المحكمة»

تاسعاً — ان محاولة التلميذ التملص من القصاص لا توجب زيادتهُ

عاشراً — اذا عجزت واعيتك الحيل في اصلاح تلميذ ورأيتهُ يسبب فساداً في المدرسة فاعزلهُ من بين قطيع تلامذتك كما يعزل الراعي الامين العنزة الجرباء من بين قطيعهِ وارسلهُ الى بيتهِ

الفصل الخامس

عوامل اخرى تهذيبية

(١) الترتيب العامّ — علينا ان نسهل للتلاميذ سبل حفظ النظام بازالة كل عثرة من امامهم . ان المياه لا تجري في القناة بالحث والتهديد بل لانك مهدت السبيل لجريانها فيها . فعلينا ان نرتب ونوجد لوازم التلميذ ونضعها في امكنتها ليصل اليها وقت الحاجة . ونرفع من امامهِ كل عثرة للتشويش والخلل

(٢) اشغال الوقت — اذا حجزت التلاميذ في غرفة دون تعيين ما يشغلهم فلا تكلفهم بالهدوّ والسكينة . لان التلميذ اذا لم يجد لديهِ ما يشغلهُ جسدياً او عقلياً يدبر هو لنفسهِ ما يشغل بهِ وقت فراغهِ . وربما اشغلهُ بما هو عارٍ من الفائدة او بما هو ضارٌّ لهُ ولغيرهِ . حدثني احد الاساتذة قال: كنت جالساً في قاعة الدرس ليلاً اناظر على نحو مئة وخمسين تلميذاً واذا بالنور قد انطفأ بغتةً وقبل ان يبدو شيءٌ من التشويش استدركت الامر وشرعت اقصُّ على التلاميذ قصة لذيذة فاسترعيت اسماعهم وساد السكون وحفظ النظام الى ان أُصلح الخلل وعاد النور الى حالهِ

ان الراحة التي نطلبها من عناء الشغل نحصل عليها بتنويعهِ فننتقل من الشغل العقلي الى الجسدي كما من الدرس الى اللعب او غيرهِ من التسليات . وقد حسب الشاعر الفراغ واحداً من مسببات الفساد قال

ان الشباب والفراغ والجِدَهْ مفسدةٌ للمرءِ اي مفسدهْ

(٣) الاقرار بالخطإ — لا احد يعتقد ان المعلم معصوم من الخطإ في سياستهِ المدرسية قصداً او سهواً فلكي نقدّم لتلامذتنا مثالاً جيداً للاخلاص لنغنم هذه الفرصة ونعترف امامهم بخطإنا فاننا نرفع في عيونهم خلاف من يتوهم اننا نحتقر . كتب فردريك الكبير الى المجلس الاعلى يقول : «انكسرت في واقعة كبيرة وما سبب ذلك سوى غلطي» . قال غلد سمث: «ان فريدريك اظهر عظمتهُ بهذا الاعتراف اكثر مما اظهرهُ بكل انتصاراتهِ»

(٤) دَرْس التلميذ — ليعرف المعلم حالة تلميذهِ الصحية وصفاتهِ الادبية وتربيتهِ البيتية وادراكاتهِ العقلية . واجمالاً يفحصهُ ظاهراً وباطناً كما يفحص الطبيب النطاسي عليلهُ قبل ان يصف لهُ الدواءَ . وبعد ذلك يجعل معاملتهُ في تعليمهِ وتهذيب اخلاقهِ ومقاصتهِ موافقة لحالتهِ التي اختبرها . ولذلك لا يوافق ان يرعى الجميع بعصا واحدة ولا يكيل لهم بكيل واحد

(٥) احترام شخصيتهِ — من اسمى مبادئ التهذيب تربية عزة النفس فاذا لم يسمع التلميذ منا سوى التهديد والوعيد والتوبيخ والتقريع يكرهنا اولاً و يبعد عن الاستفادة منا ثانياً ونكون قد عملنا على اماتة عزة نفسهِ ثالثاً . فعلينا ان نقابل التلميذ ونعاملهُ كشخص غريب بالاحترام في السلام والمخاطبة فاننا بذلك نحملهُ على احترام نفسهِ واحترامنا ايضاً احترام الخلوص والمحبة

(٦) لجنة اصلاحية — ان التلاميذ اقدر على التأثير في بعضهم البعض من المعلمين فلننشطهم ونأخذ بايديهم في تاليف لجنة منهم غايتها اصلاح كل خلل يقع في المدرسة سواءٌ أكان بين التلاميذ او بينهم و بين المعلمين . فالمدرسة التي يتهيأ لها ذلك تريح نفسها من مشاكل كثيرة وتربي تلامذتها على الحكم الذاتي ومحبة الاصلاح

(٧) المبادرة الى سدّ الخلل — اي تدارك الامور في بداءتها واصلاحها بالتي هي احسن لان الشرّ من شرارة . قال بعض الحكماء «من استخف بالامور واعرض عنها عظمت عليهِ و كبرت ومن استعظم الامور و بادر اليها هانت لديهِ وصغرت »

(٨) تدريب التلاميذ في الآداب الاجتماعية — مما يحتاج التلميذ الى معرفتهِ كيفية مقابلة ومخاطبة الناس حسب مقاماتهم وظروف

احوالهم لان كثيرين ينتهون من المدرسة وليس لهم خبرة في هذه الاصطلاحات فيكونون عرضةً للانتقاد الذي يلحق مدرستهم واساتذتهم قسم منهُ . وهذا الامر لا يستفيدونهُ من كتب التهذيب ولكنهم يقتبسونهُ من مخالطتنا اياهم ومعاشرتنا لهم كرجال ادباء وتدربنا لهم فعلياً في هذه الاصطلاحات

الباب الرابع

التربية العمليـة

الفصل الاول

اهمية العمل لذاتهِ

العمل من طبيعة الوجود . كل مخلوق في الطبيعة لهُ عمل اما اختياراً او قسراً . قال وليم اوسلر «العمل كل شيءٍ» . بعض الناس يسعون و يكدون ليجمعوا مقداراً وافراً من المال والاملاك ليرتاحوا بعد ذلك من عناء الاعمال و يقضوا بقية العمر بالبطالة يعيشون عيشة رخاءٍ وهناءٍ . وحسب المشاهدات تجد ان مثل هولاءِ مهما جمعوا و كنزوا يبقون يطلبون المزيد ليس لسدّ حاجة او خوف فقر بل رغبةً في العمل نفسهِ . قيل لاحد اهل الثروة «على مَ لا تفتأُ تجهد النفس بمواظبة العمل ولك من الاموال ما يكفي مئة نفس الف سنة ؟ فقال اواظب على الاعمال دفعاً لرذائل البطال»

وقد قرأت في احدى الجرائد عن غنيٍّ انهُ بعد ان جمع مبلغاً

وافراً من المال تفرَّغ للتمتع بثمر سعيهِ فساح في البلدان ومتع نظرهُ بالمشاهد الجميلة ولم يبخل على نفسهِ في ما طلبتهُ . ولكنهُ شعر اخيراً باعتلال في جسمهِ فاستشار طبيبهُ في الامر فاشار عليهِ ان يعود الى مزاولة اعمالهِ فتستقيم صحتهُ . وهكذا عمل وهكذا صار

ان علماء اليهود الاقدمين جعلوا من فرائضهم على الوالدين ان يعلموا اولادهم احدى الصنائع حتى قال احد ربانيهم « من لا يعلم ابنهُ صناعةً فكانهُ علمهُ السرقة » . وقد ورد في الامثال (العلم بلا عمل كالنحل بلا عسل)

ان بلاداً تمتهن فيها الاعمال ويحسب الشريف فيها من لا يخدش انامله بعمل ما هي بلاد منحطة اقتصادياً وادبياً . لا يزال بعض شيوخنا يروي لنا عن بقايا بعض الأُسر الغنية القديمة في بلادنا الذين حطَّ بهم الدهر من حالق واناخ عليهم بكلكلهِ . انهم كانوا يتطون ظهور الخيل ويتجوَّلون بغية السؤال لكي يتخلصوا من معرَّة الاعمال ساهين عن ان العار كلهُ في الاعتياض من شرف الاعمال بمذلة السؤال ان الشعوب الراقية تحسب كل عمل شريفاً وليس من عمل دنيء الا عمل الشرّ . ان النقص لا يكون في العمل نفسهِ بل في عدم اجادتهِ . يحق لك ان تطلب اسمى الاعمال وتصل الى ارفع المناصب وادرّها ربحاً . ولكن لا تبقَ مكتوف اليدين حتى يتسنى لك ذلك . ان

الارتقاء الثابت الطبيعي يكون بالتدريج من الادنى الى الاعلى ومن البسيط الى المركب . عير بعضهم احد المرتقين من وضيعي الاصل بقولهِ ألاَ تذكر انك كنت تمسح الاحذية ؟ فاجابهُ : نعم اذكر ذلك ولا انساهُ ولكن ألاَ تذكر انت اني كنتُ امسحها جيداً

الفصل الثاني

افتقار بلادنا الى عمال اشدُّ منهُ الى علماء

ما همنا كثيراً ما كنا نسمعهُ من بعض البسطاء الذين ينتقدون المدارس مفضلين عليها حالة الامية لعلمنا انهم يهرفون بما لا يعرفون . ولكن يهمنا الآن ما نسمعهُ من بعض المستنيرين الذين يعرفون الدخول الى البيوت من ابوابها ويرجعون في احكامهم الى عقل مفكر اذ يقولون : ان المدارس وخاصةً العليا اضرَّت في البلاد وان تكن قد افادت بعض افرادٍ من اهلها إفادةً خاصةً . يعني انهم ما استفادوا الا في البلدان الاخرى ولم يستفد الا العدد الاقل منهم في الوطن . وهم يعنون بقولهم ما اشرنا اليهِ تكراراً في الابواب السابقة من ان اقبال اولاد القرى والمدن على المدارس يقلل الايادي العاملة في الزراعة والصناعة . ولو كان هولاء المتعلمون يعودون بعد تعلمهم الى ممارسة

الاعمال في بلادهم لكانت قد حصلت الفائدة المرومة . ولكنهم يأنفون من مسّ ادوات الزراعة والصناعة ويطلبون المناصب العليا والمتاجر الكبرى واذ لا يجدونها يقولون مع القائل

ترحل عن بلاد انت فيها وخل الدار تنعى من بناها

فيتركون بلادهم ويهاجرون الى البلدان الاجنبية طلباً للرزق ومنهم من يغتنون ويرتقون ولكن بلادهم تفتقر وتنحط[1]

فهذا هو وجه الانتقاد على المدارس واذا تكلمنا بخلوّ غرض نضطر الى الاقرار بقوة حجة المنتقد . فالاراضي اكثرها مهملة وما استعمل منها فعلى الطرق القديمة العقيمة . والصنائع منحطة ومنتوجاتها بائرة حتى ان المنسوجات الوطنية الثمينة التي كانت رائجةً سابقاً نسجت عليها عناكب الاهمال وقد اوشك ان يتلاشى استعمالها وحلت محلها

---

(١) ورد في بيان الوزارة اللبنانية سنة ١٩٢٦ عن المهاجرة بوجهٍ عام ما نصهُ . « وان الذين يهجرون الوطن في هذه الايام لا يقدمون على ذلك بسبب الشقاء والبؤس بل لرغبتهم في اجتناب العمل في الحقول وفي احتراف حرفة تكون اقل تعباً واكثر ربحاً من ذلك العمل . فلاجل ابقائهم في مساقط رؤوسهم يجب ان يقدم لهم من الربح ما يساوي ربحهم في البلاد الاجنبية ولا يمكن الوصول الى هذا الغرض الا اذا أُنميت ثروة البلاد بانماء الزراعة والصناعة والتجارة »

المنسوجات الاجنبية · وهكذا قل عن منتوجات زراعتنا التي زاحمها ما يرد علينا من البلاد الاخرى · ونحن من عمى قلوبنا وجهلنا معنى الوطنية الحقيقي نفضل كل ما هو اجنبي على كل ما هو وطني · وعليهِ اذا استمررنا هابطين في هذا المنحدر نصل الى الدرك الاسفل · وليس ما يوقف تدهورنا وينشلنا من الهوّة الفاغرة فاها لابتلاعنا سوى اليقظة من غفلتنا وتصميمنا على تشييد بنيان عمراننا الثابت على اساس الاعمال اعمال ابناء الوطن في وطنهم واقبال الوطنيين على منتوجات هذه الاعمال · واعظم مبشر شرقي في انجيل الوطنية هو غاندي الفيلسوف الهندي الذي دعا بني قومهِ اجمعين الى استعمال كل ما هو وطني ولو كان بسيطاً او خشناً في اول امرهِ فان الاقبال عليهِ يزيدهُ اتقاناً وحسناً الى ان يباري مصنوعات الاجانب · هو يقول ذلك لا كرهاً بالاجانب بل حباً بالوطن

الفصل الثالث

موقف مدارسنا ازاء هذا الموضوع

اهمُّ ما ترمي اليهِ مدارسنا تهذيب الطلبة في العلوم واللغات . وقد كان عملها مكملاً لو قرنتهُ بالتمرين العملي الذي يحسبهُ البعض دون قدر العلم . ان الحق في اهمال التربية العملية هو على الوالدين كما على المعلمين لانهُ يجب ان يشترك الفريقان في اتمام هذا الواجب الهامّ حتى يشبّ الولد عاملاً نافعاً لا خاملاً ضاراً . ولا نبرئُ الامهات من اللوم فان الام لشدة حنانها تقصد اراحة ابنتها فتهمل تمرينها بمشاركتها لها في تدبير منزلها واشغال مطبخها . وهي بذلك تضرُّها حين تصل الى وقت يطلب منها فيهِ مثل هذه الواجبات فيعسر عليها القيام بها . والواجب المدرسي يدعونا الى بث روح محبة العمل في تلامذتنا منذ نعومة اظفارهم . وليت بعض ادبائنا يضعون كتباً للتعليم تغرس هذا الفكر في عقول التلاميذ وعود صباهم رطيب فيتشربون هذا الروح ويشبون عليهِ لا يأنفون من ممارسة الاعمال اية كانت

ان الغربيين قد سبقونا شوطاً بعيداً في هذا المضمار اعني احترام العمل فلا يستنكف الغربي من الخدمة في المنازل في سبيل تحصيل ما

يلزمهُ وهو يطلب العلم في احدى المدارس . فلا يجد حاجزاً بين طلب العلم وبين الاعمال اليدوية ولو في الخدمة . فليتنا نحتذي مثالهم في ما نقتبسهُ من عاداتهم فنتبعهم في هذا المثال الجيد والروح الوديعة روح محبة العمل واحترامهِ . روى مستر كولدج ابو رئيس الولايات المتحدة الحالي عن ابنهِ الرئيس زمن تلمذتهِ قولهُ « كان يعود من المدرسة الى البيت فيساعد فيهِ فيشقق الحطب ويحملهُ ويعمل كل ما يطلب منهُ ثم يعود الى درس مثائلهِ » وبالمقابلة على سبيل المثال نذكر عن بعض التلاميذ الشرقيين الذين يُساعدون بقسم من الرسم المدرسي وحسب القانون تعين لهم المدرسة بعض الاعمال مقابل ذلك . فمنهم من يمارسها ببعض الرضا واكثرهم لا يكونون راضين عنها حتى ان بعضهم أرغموا والديهم مع ضيق ذات يدهم ان يرفضوا المساعدة ويكملوا الرسم المطلوب تخلصاً من عار العمل ومتى نالوا مبتغاهم يتبخترون في ساحة المدرسة . وهذا نقص كبير في تربيتنا يؤسف لهُ

ان العمل في المدرسة يريح من عناء الدرس ويروض الجسم ويحفظ الآداب . وعليهِ تجد ان علاقة التربية العملية بما سبقها من انواع التربيات متينة

ولربّ معترضٍ يقول : ما هي الاعمال التي يستطيع ان يمارسها التلميذ وهو في المدرسة ووقتهُ مشغول نهاراً وليلاً بالدرس والتسميع

والرياضات الجسدية ونحو ذلك من المطالب المدرسية الخاصة . فاجيب نعم انهُ مع صعوبة موقف التلميذ يمكنهُ اذا اراد وكان فطناً متضعاً ذا مروءة واقدام ان يجد ما يعملهُ

قد عنيت بعض مدارسنا الكبرى منذ نشأتها بادخال التعليم العملي ضمن فروعها كالطب والصيدلة والتجارة والحقوق وبعض الصنائع اليدوية ونحوها . ولكن هذه المدارس تعدُّ على الاصابع والقسم الاكبر من مدارسنا خالٍ منها مع حاجة البلاد اليها

لما جددنا فتح مدرسة الفنون الاميركية في صيدا بعد الحرب العالمية جربت ان أُدخل روح محبة العمل بين التلاميذ فلم ارَ منهم اقبالاً . والطريق التي نهجتها هي هذه : اني أعلنت لكل من لهُ ميل والمام بعمل ما من الاعمال التي يحتاج اليها في المدرسة ان اسلمهُ العمل الذي يختارهُ واساعدهُ في تهيئة ما يلزمهُ للشروع فيهِ . واني لا استخدم شخصاً غريباً في المدرسة لعمل ما اذا وُجد من طلبتها من يقوم بهِ . وكانت النتيجة حزني على إخفاق مسعاي مع وجود كثيرين من التلاميذ يحتاجون الى المساعدة في نفقاتهم

ويسرُّني في ختام هذا الفصل ان ابشر باختمار هذا الفكر عند ارباب التهذيب فانهُ في اول شهر تموز من السنة الحالية ١٩٢٦ انعقد

المؤتمر السنوي لمديري المدارس الاعدادية في الجامعة الاميركية في بيروت وكان من اهمّ اعمالهِ تأييد وتقرير وجوب ادخال روح محبة العمل والتمرين اليدوي في جميع المدارس من ادناها الى اعلاها . ليس المقصود ان كل هذه المدارس تتحوّل الى مدارس صناعة وان جميع الطلبة يتعلمون صناعات للاشتغال بها بل ان يتربى روح الميل الى العمل في جميع الطلبة . ورجاؤنا ان هذه الفكرة تصادف قبولاً وانتشاراً ويعمّ العمل بموجبها

واذا رأيت من الهلال نموّهُ أيقنت ان سيصير بدراً كاملا

الفصل الرابع

بعض وسائل التمرين العملي في المدارس

انكم تنتظرون مني ليس بيان اهمية هذا الامر لانكم ادرى مني بها بل ترغبون اليّ ان ابين بعض الوسائل التي يتمرن فيها الطالب على المبادىء العملية في المدرسة فتحقيقاً لرغبتكم اذكر ما يحضرني منها

(١) الترتيب — اي ان يرتب التلميذ غرفتهُ وسريرهُ وفراشهُ وثيابهُ وكتبهُ وجميع ما يخصهُ اكمل ترتيب حتى تروق للناظر ويسهل تناول كل غرض وقت الاحتياج اليهِ . والذين هم اكثر احتياجاً الى

ذلك من اعتادوا في بيوتهم ان تقوم والدتهم او اخواتهم او خدمهم بترتيب اشيائهم . ولذلك ترى مثل هولاء في حالة التشويش . ولكنهم بعد التدريب وقضاء مدة في المدرسة يألفون هذه العادة الحسنة ويحبونها

(٢) الاعمال التبرعية — قد تستدعي الاحوال تأدية اعمال وخدمات ومساعدات تبرعية من اصحاب المروءة من التلامذ . وهذه فرصة لمعرفة اصحاب العقول الراجحة وتمييزهم من ذوي الافكار السخيفة الذي يحاولون التملص من تكليفٍ كهذا

(٣) تدريب القاصرين — يوجد تلاميذ لم تحنكهم الايام لا يعرفون كيف يتدبرون في امورهم . فمن شريف المبادىء ان يتقدّم رفقاؤهم ذوو الخبرة والدراية لا للاستخفاف بهم ولا لانتقادهم ولا للانتفاع من تغفلهم بل لانجادهم وارشادهم ونصحهم ومساعدتهم بروح المحبة والوداعة . ومن هذا الصف التلاميذ المقصرون في دروسهم فانهم يحتاجون الى من يبين لهم الاسلوب الحسن للدرس ويفهمهم ما أُغمض عليهم من دروسهم

(٤) خدمة المرضى — لا اقصد ان كل مدرسة تفتح فرعاً خاصاً للتمريض بل انه حين وجود مرضى يمكن باشارة طبيب المدرسة وارشادهِ ان تخدم الابنة او الصبي رفيقهما الضعيف . وهما بذلك

يتاهلان في ما بعد لخدمة اهل بيتهما فضلاً عن تأدية خدمة هي من اشرف الاعمال اعني خدمة الضعفاء

(٥) المشي على الاقدام — لا باس بحسباننا هذا من باب الاعمال فاذا كانت مسافة لا تتجاوز نصف ساعة او ساعة او اكثر لا لزوم للاسراع الى استئجار سيارة لتقلنا الى المكان المقصود الا اذا كان ضعف في الجسد او ضيق في الوقت . ان بعض التلاميذ يابون المشي مسافة كهذه لا تخلصاً من التعب ولا لسعة حالهم ولكن لاجل المباهاة والافتخار

(٦) التمرينات العملية في بعض العلوم — مثل رسم مصورات لاقسام الكرة الارضية العمومية والخصوصية في علم الجغرافية وتشريح النباتات والحيوانات وجمع رواميز منها وتنسيقها ورسم صورها في علمي النبات والحيوان . وفي علم الكيميا والفلسفة الطبيعية تجب التمرينات العملية في مختبراتها الخاصة . ففي هذه المذكورات ونحوها يتسع المجال للعمل اليدوي المفيد في ذاتهِ والمبلغ حقائق هذه العلوم الى افهام الطلبة

(٧) مناصرو العمل — كم هو جميل ان يتألف في المدرسة جمعية العاملين تكون غايتها تنشيط الاعمال فيسير اعضاؤها في مقدمة التلاميذ معطين مثالاً حسناً للآخرين ليحذوا حذوهم

(٨) المعلمون العاملون — للمعلمين يد قوية في ترغيب التلاميذ

بالقدوة لممارسة الاعمال . اذكر اني لما اتيت الى مدرسة صيدا تلميذاً وكان رئيسها وقتئذٍ المرحوم وليم كنغ ادي فرأيتهُ مرةً في جنينة المدرسة وبيدهِ مغول يعمل بهِ فحسبت ذلك حطة في مقامهِ فاسرعت لاخذ المغول من يدهِ والعمل بهِ فابى عليَّ ذلك وقال لي اذا كنت تريد الشغل فخذ هذا المغول الآخر واعمل بجانبي ففعلت وتعلمت مثالة لا انساها . اكثرنا جرَّب انهُ حين يلزمنا مساعدة من التلاميذ لا ندعو هـذا او ذاك بل يكفي ان نشتغل نحن المعلمين بايدينا فلا نرى التلاميذ الاَّ مقبلين الى العمل معنا

(٩) فرقة الكشافة — انهُ من احسن الوسائل اخلاقياً وعملياً تأليف فرقة للكشافة فانها فوق ما يتعلمهُ التلاميذ فيها من الحركات المنظمة يتمرنون على اعمال كثيرة نافعة مثل مداواة وخدمة المرضى والجرحى ونقلهم الى حيث يصادفون الراحة ووسائل الشفاء . ويتمرنون كذلك على العيشة الاستقلالية اذ يذهبون في سياحة خارج المدرسة فيقومون انفسهم بحمل امتعتهم وترتيب نومهم وسفرهم وتهيئة اطعمتهم والسهر ليلاً على رفقائهم وحراسة اشيائهم وما اشبه من الامور التي تسرّ الطالب وتجعلهُ يشعر انهُ قد صار رجلاً يمكنهُ ان يعمل عملاً نافعاً . لما قامت فرقة الكشافة في مدرستنا في احدى سياحاتها أنجدت سيارة متهورة بركابها فضمدت جراحهم وداوتهم بما

تيسر واعادت لهم السيارة من مكان تهورها الى الطريق العامة

(١٠) الاعمال الزراعية — اذا كان للمدرسة حظٌّ بوجود فسحات متسعة حواليها يكون لها فرصة ثمينة لتمرين وتربية التلاميذ على الاعمال الزراعية البسيطة بان يعطى لكل تلميذ او لكل فرقة من التلاميذ قطعة صغيرة يعملون في حفرها وتسويتها وزرعها وريّها والعناية بها . ولا باس بتعيين جائزة لمن تخصب قطعتهُ اكثر من الجميع . ان هذا العمل مهما كان بسيطاً لهُ اهميتهُ اذ يربي روح العمل الزراعي في التلميذ

(١١) اعمال البنات — في مدارس البنات متسع اكثر من مدارس الصبيان للاعمال اليدوية اذ يمكن تشغيل التلميذات في الخياطة وشغل الابرة والتطريز والتمرين في تدبير المنزل بترتيب اثاث الغرف وتنظيفها واشغال المطبخ والمائدة . وبدلاً من اهتمام بعض المدارس بتمثيل الروايات الاعتيادية والحفلات المتنوعة ليتها تمرّن التلميذات بتمثيل روايات منزلية تتمضن اعمال المطبخ وخدمة المائدة واستقبال الزائرات والزائرين وسياسة الاطفال الى ما شاكل ذلك من شؤون السيدات فان هذا النوع يفيد التلميذات ويسرّ الجمهور وان كان مالوفاً في بيوتهم . اذكر انهُ منذ ثلاثين سنة مثلت مدرسة الفنون في صيدا رواية صناعية في عيد بدء السنة ١٨٩٦

ضمنتها الصنائع الاربع التي أدخلتها في منهاج اعمالها وهي النجارة والخياطة والكندرجية والبناء فنالت على بساطتها استحسان الجمهور الامر الذي جعلنا نتوسع فيها ونعيد تمثيلها في آخر السنة المدرسية

ولا بد لي في هذه النبذة من ذكر مثالين متباينين يعبران عن فكر الاهالي في هذا الشأن : الاول اسرة مسيحية ارسلت ابنتها الى مدرسة بنات داخلية وحصلت على مساعدة في الرسم المدرسي من ادارة المدرسة وحسب القانون يطلب من كل تلميذة مساعدة شيء من الشغل البيتي واذ علم اهلها ان ابنتهم تشتغل احياناً في المدرسة بعض الاشغال البيتية اقاموا النكير على ادارة المدرسة وصار بينهما اخذ وردّ وقيل وقال الى ان اسفرت المعارك عن سحب الابنة من المدرسة وارجاعها الى البيت حفظاً لكرامتها من عار الشغل البيتي . والثاني رجل وجيه مسلم من اصدقائي أمسكني في سوق المدينة واخذ يحدثني عن المدارس وشرع ينتقد مدرسة البنات المذكورة لانها لا تعلم التلميذات اشغال البيت وامور المطبخ . حقاً اني احترمت هذا المنتقد ولمت الذين اخرجوا ابنتهم هرباً من الشغل

(١٢) الاعمال في الفرص الكبرى — في الفرصة يتسع المجال لمحب العمل ليمرّن موهبتهُ العملية اولاً بمساعدة اهلهِ في اشغالهم الخاصة وثانياً التمرُّن في اشغال مستقلة يذوق فيها لذة الكسب بعمل

يديهِ · حينما انفرط عقد التلاميذ في الفرصة الصيفية الكبرى سنة ١٩٢١ طلبت من الصف العالي ان يشتغل كلٌّ منهم مدة الصيف في عملٍ ما سواءٌ أكان محتاجاً او غير محتاج ليحصل ولو ثمن كتب السنة القادمة · وبعد عودتهم عرفت ان اكثرهم اشتغلوا ونجحوا

حاشية— ان التربية العملية التي يحصل بها الشاب او الشابة دراهم فوق فائدتها المادية تعلم الشخص العامل الاقتصاد في النفقة اذ يختبر ما يلزم من الجهد لتحصيل الدراهم فيعزم ان لا ينفقها الا على الاشياء اللازمة · بعكس الذي تصلهُ الدراهم دون تعب ولا مشقة فانهُ ينفقها بالاسراف من دون حساب · وختام هذا التعليم قول سليمان الحكيم « كلُّ ما تجدهُ يدكَ لتفعلهُ فافعلهُ بقوتك »

الباب الخامس

التربيـة الروحية

الفصل الاول

الدين رابطة التماسك

كثر اعتماد الناس في الآونة الاخيرة على جعل اساسات الابنية وسقوفها واحياناً جدرانها واعمدتها وسلالمها من الحجر الاصطناعي المعروف بالسمنت او الباتون . فيأتون بالحصى والرمل وقضبان ومشبكات الحديد ولكن تبقى هذه المواد جميعها اجزاءً متفرقة لا امتزاج ولا التصاق ولا تماسك بينها الا اذا تخللت اجزاءها المختلفة الترابة الافرنجية المحللة بالماء على نسبة معلومة . وبهذه المادة المتممة تتماسك جميع المواد المذكورة تماسكاً شديداً حتى تصبح قطعة واحدة وجسماً صخرياً صلباً فتتمّ الغاية منها . هكذا كل ما مرّ معنا الكلام عنهُ من انواع التربيات لهُ في ذاتهِ قيمتهُ في بناء الهيئة الاجتماعية ولكنهُ يحتاج

في تماسك اجزائهِ وربطها بعضها بالبعض الآخر الى عامل قوي الفعل هو المبدأ الروحي

هل رأيت صائغاً وقد مسك لوحة خشبية نسق عليها اجزاءً مختلفة الاشكال من الذهب او الفضة حتى تكوَّن منها صورة حلية غاية في الجمال ؟ ولكن لا تغرنك هذه الصورة لانك اذا هززت تلك اللوحة تناثرت تلك الحلية قطعاً وتبعثرت شذَر مذَر فزال جمالها الاول لانها ليست متصلة الاجزاء وانما وضعها الصائغ على لوحتهِ ووضع بين اطراف اجزائها لحاماً يسلط عليهِ حرارة النار الشديدة من انبوب معقوف ينفخ بهِ على لهب السراج فيذوب اللحام وحين يبرد تصبح تلك الحلية قطعة واحدة فالمبدأ الروحي او الدين هو اللحام الذي يربط اجزاءَ اعمال الانسان ليؤلف هيئة واحدة منتظمة جميلة

الفصل الثاني

خلاصة الفلسفة الدينية

ان اصول الدين تقوم على ثلاثة اركان لغاية مقصودة . اما الاركان الثلاثة فهي العقائد والرسوم والفرائض نذكرها بالايجاز ونردفها بالغاية المقصودة

(١) العقائد — جمع عقيدة بمعني الارتباط . فان الانسان اذ يصدقها يرتبط بالهه قلباً وقالباً . وهذه العقائد مبنية على كتابي الوحي والطبيعة وكلاهما من مصدر واحد هو الخالق القدير . واصحاب المذاهب الدينية يختلفون في صور عقائدهم . ترى البعض في الاعصر المتاخرة يقصدون تقليل اهمية العقائد حاسبين ان الاعتماد في الدين على الحياة الصالحة النافعة المتفق على استحسانها مع ان العقائد هي الاساس والواجبات هي البناء القائم على ذلك الاساس المتين . فاذا خلا الدين من العقائد اصبح فلسفة ناشفة

(٢) الرسوم — هي التي يجري عليها اهل الدين حين اقامة العبادة من طقوس و كيفيات متنوعة تقرُّباً من الاله المعبود وشكراً لهُ واستمداداً لفيض انعامهِ . وقد اختلف الناس كثيراً في شكل الرسوم

الدينية . على انها قدر ما تطابق في بساطتها اصل وضعها تفي بالغرض المقصود منها . اعني بهِ تذكير الناس المنهمكين في مهام اعمال هذه الحياة بوجوب حفظ علاقتهم الروحية بالهم للثبات في الحق والوقاية من الضلال وايضاً لافهامهم مطالب الركن الثالث لاجل خيرهم في الدارين

(٣) الفرائض — قد اصطلح البعض ان يمزجوا الرسوم بالفرائض كانهما كلمتان مترادفتان لمعنى واحد . اما هنا فقد قصدنا ان نخصص كلمة فرائض بالوصايا الادبية والاجتماعية والمدنية المودعة في كتب الدين . ان الناس يكادون ان يتفقوا في هذه الفرائض التي خلاصتها «حدْ عن الشر واصنع الخير» اعني « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فسهلٌ جداً اجتماع كلمتهم عليها . ولكن هنالك فئة لسوء الحظ تريد ان تطوي كشحاً عن عوامل الاتفاق وتنظر بالمجهر في وجوه الافتراق

(٤) الغاية المقصودة — ان الغرض الاساسي من الدين ترجع فائدتهُ الى الانسان . فانهُ تعالى غنيٌّ عن البشر قاطبةً . على ان كثيرين من الناس لا يفقهون هذه الحقيقة زاعمين ان الدين نير ثقيل وضعهُ الاله القوي على اعناق البشر الضعفاء . والحقيقة ان الغاية الاساسية فيهِ ان يعيش الانسان مع اخوانهِ افراد العائلة البشرية عيشة المحبة والمساهلة

والتعاون ينمو في المعرفة واكتناه اسرار الحياة . ويكون عاملا مجتهداً آمناً يقضي حياة سلام وطمأنينة حياة كلها غبطة وحبور ونعيم هناء وسرور

الفصل الثالث

قوّة العامل الديني

ان الانسان يحتاج في حياتهِ الى عامل قويّ يدفعهُ الى صنع الخير ويردعهُ عن عمل الشرّ . فيبين لهُ حقوقهُ وحقوق الآخرين ليسير في جادة الحق دون عوج ولا التواء ولدينا عوامل اربعة

(١) القانون المدنيّ — الذي تحميهِ وتحافظ على تنفيذهِ والسير بموجبهِ الحكومات في كل بلادٍ ولا تستحقُّ حكومة ان تسمى صالحة او ينسب لها الحول والقوة الاّ اذا احقت الحق وازهقت الباطل

(٢) العرف العام — المصطلح عليهِ بين الجمهور فاننا نرى كثيراً مما لا يحظرهُ القانون المدني يرتد عنهُ الانسان لمنافاتهِ ما اصطلح عليهِ القوم مراعاةً للرأي العام

(٣) العلم والآداب — توجد حالات لا يتصل اليها القانون المدني ولا العرف العام فيبيح الانسان لذاتهِ اتيانها ولو اضرّت بهِ وبغيرهِ

غير ناظر الى مغبة عملهِ . وهنا يقول قائل ان العلم ينير العقول وآداب السلوك ترشد الانسان الى النهج القويم . ان هذين العاملين يقودان الى معرفة الخير من الشر ولكنهما يلقيان الحبل على الغارب ليختار الانسان لنفسهِ ما يحلو والنفس امارة بالسوء

(٤) المبدأ الروحي — لم يبقَ بدٌّ من وجود قانون أبعد مدى واعمق تأثيراً في حياة الانسان منفرداً ومجتمعاً في ما ظهر وما بطن سراً وعلناً وليس امامنا ما يقوم بهذا الواجب ويسدُّ كلَّ خال سوى العامل الدبني الذي تأثيرهُ يتصل الى اعماق الافكار فيفحص مخادع القلوب ويكشف مكنونات اسرارها . فيستأسر مقاصد الانسان ويقودها الى مطاوعة الحق والصلاح

بعد كتابة ما مرَّ اطلعت على مقال بهذا المعنى للرئيس كولدج رئيس جمهورية الولايات المتحدة الاميركية في « النشرة الاسبوعية » نقلاً عن « مجلة الشرق والغرب » نقلاً عن « مجلة الاجتهاد » التركية . وهذا هو بنصهِ « كما ان الشرائع تعجز عن توطيد وضمان الصلات الاجتماعية الرضية بين الجنس البشري كذلك العلوم والاداب ان هي الا اداة للشر كما هي اداة للخير . ولذلك نعتقد ان نظام البشرية الادبي الذي قصرت الشرائع عن تحقيقهِ لا يكفلهُ غير الدين »

اذاً نحن مضطرُّون اذا كنا نقصد ان نبني بناءً اجتماعياً متيناً

ثابتاً في تهذيبنا تلامذتنا ان نعنى عنايةً خاصة بامر التربية الروحية قال الشاعر

فما قرن الفتى شيئاً بشيءٍ كمثل العلم يقرنهُ بتقوى

الفصل الرابع

العقبات التي في سبيل الدرس الديني وتمهيدها

اننا نرى اختلافاً بين المهذبين في امر ادخال التربية الروحية الى المعاهد العلمية . فالبعض يوجبون ادخالها بناءً على ما سبق من فوائدها وغيرهم يقولون بعدم موافقة ذلك لاعتبارات عندهم . حتى ان الولايات المتحدة الاميركية اختلفت في هذا الشأن فمنها ثلاثون ولاية لا تمنع قراءة الكتاب المقدس في مدارسها ولكنها تحظر المجادلات الدينية ومنها اثنتا عشرة ولاية تحظر قراءة الكتاب ومنها ست توجب تعليمهُ كبقية فروع الدراسة . ونحن نذكر هنا بعض العقبات الموجودة عندنا ونحاول تمهيدها

(١) الاسراف في الوقت والمال — ان غاية الاكثرين اختصار وقت تعليم اولادهم تجنباً للنفقات الطائلة وليتسنى لهم ان يخرجوا باكراً الى العالم للسعي في تحصيل اسباب المعيشة . فيرون وجود الدروس

الدينية يعيق انتباههم اولاً ويزيد نفقاتهم ثانياً ولا ينتظر منها ربح مادي ثالثاً

وعليهِ نجيب : اننا نسلم بعدم موافقة اشغال الدرس الديني جزءاً كبيراً من وقت التلميذ لا لقلة اهميتهِ بل لان ذلك من شأن المتخصصين لهذا الموضوع . وجواباً لطالبي الربح باخصر طريق لنفرض اننا أغضينا عن سموّ الحياة الروحية لا احد ينكر كون مبدإ الاستقامة والذمة الذي يحثُّ عليهِ الدين ويأمر بهِ ظاهراً وباطناً هو الركن الهام في نجاح الاعمال العالمية

(٢) تباين الطوائف — ان المدارس تضم فرقاً مختلفة من طوائف متباينة فاذا كان التدريس حسب نظام هذه الطائفة لا ينطبق على رغيبة اهل سائر الطوائف فلا يستحسنون السير في ما لا يوافق اراءهم

وعليهِ نجيب : اننا نعترف بصعوبة وجود هذه الفرق المختلفة . والموافق في حالٍ كهذه ان ندرس المبادىء الدينية الاساسية دون تعرُّض الى ما يمس حاسات سائر الطوائف . فاننا كما نتمسك شديداً بمبادئنا علينا ان نحترم مبادئَ غيرنا . ان هذا النوع من التربية في بلاد كبلادنا يحتاج الى معرفة ونزاهة وتساهل وحكمة ومحبة عامة

(٣) خسارة متنوعة — يحسب بعضهم ان التربية الروحية تسلب من

المرء عزة النفس والاقدام والشجاعة والغيرة في السعي والتمتع بملاذ الحياة

وعليهِ نجيب : اننا لا نسلم بهذا الاعتراض لاننا اذا درسنا تراجم المشاهير من رجال الدين لا نرى لهم مثيلاً في التاريخ العالمي في عزّة النفس والشجاعة وروح التضحية والترفع عن الدنايا . بخلاف طلاب المال المحسوب انهُ يكسب عزة النفس فان كثيرين منهم يحتالون ويهضمون حقوق الضعفاء في سبيل الحصول على مبتغاهم . اما الوهم في ان المبدأ الروحي يخسر الانسان التمتع بملاذ الدنيا فيظهر التدين بصورة قاتمة ينفر منها الطبع فسببهُ ما يرى في اسلوب البعض من التطرُّف في اماتة النفس والمبالغة في الزهد والتقشفات على غير ضرورة فعلينا ان نجلو هذه الغيوم السوداء الوهمية معلنين جهاراً ان الدين يبيح الجهاد في اعمال الدنيا والتمتع بملاذها حلالاً طيباً . واما حظرهُ للمحرمات فلأنَّ سمها مخبوءٌ تحت دسمها

(٤) صعوبة الاسلوب - اي عدم وجود اسلوب يسهل تناول هذا العلم حتى لا يشقّ تحصيلهُ على الطالب

وعليهِ نجيب : نعم اننا باحتياج الى وجود طريقة للتدريس الديني اوفق من الطريقة المتبعة تكون سهلة المنال خاليةً من المسائل العويصة ترمي الى الحث على التحلي بالفضائل والتجمل بالصفات الطيبة . وذلك بوضع سلسلة كتب متدرّجة حسب صفوف الطلبة

تحتوي مجمل سير رجال الله الافاضل مع المهمّ من جيد مبادئهم التي تغذي العقول وتصلح الحياة . وها نحن بسرور نبشر الذين يهمهم هذا الامر انهُ قريباً تتحقق هذه الامنية اذ تألفت لجنة من المرسلية الاميركية لمباشرة هذا المشروع المفيد وقد ابتدأت في عملها

الفصل الخامس

تجنب العثرات

(١) الاستخفاف — اكبر جريمة يرتكبها المعلم جعل التلاميذ يشتمّون في سيرتهِ او احاديثهِ رائحة الاستخفاف بالامور الدينية . لان عقولهم اللدنة قابلة بكل سهولة للتأثر بكل عامل خاصة اذا صدر من استاذهم

(٢) التنافر — لا يليق ان نواجه الآخرين بذكر وجوه الخلاف بيننا وبينهم بل نفاتحهم بذكر وجوه الاتفاق والتقارب . فلا نبدي نحن ولا نسمح لتلاميذنا المختلفي الطوائف ان يتناظروا او يتنافروا بسبب اختلافهم الديني . قال بولس الرسول لتلميذهِ تيموثاوس « والمباحثات الغبية السخيفة اجتنبها عالماً انها تولد خصومات وعبد الرب لا يجب ان يخاصم » . وقال محيي الدين بن العربي الفيلسوف الاسلامي

لقد كنت قبل اليوم انكر صاحبي اذا لم يكن ديني الى دينهِ داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورةٍ فمرعى لغزلانٍ ودير لرهبانِ
وبيت لنيران وكعبة طائفٍ والواح توراةٍ ومصحف قرآنِ
ادين بدين الحب انى توجهت ركائبهُ فالحب ديني وايماني

(٣) التقيد بالحواشي — يجب ان نميز بين اصول الدين وتفاسير علمائهِ لان هذه التفاسير وصلت الينا بالتقليد وهي ليست الدين بل هي آراءٌ فيهِ حسبما فهم اربابها اعتماداً على معارف واصطلاحات عصرهم القديم فاذا تحقق ما يخالفها وبطلت لا يبطل الدين معها بل يحق لنا ان نفسرهُ بما لنا من نور المعارف العصرية دون ان نثلم حقيقة من حقائقهِ

(٤) مخالفة سيرتنا لعقيدتنا — يوجد اناس لهم عقول مستنيرة ولكن قلوبهم مظلمة . لهم افكار واقوال صائبة ولكن افعالهم مخطئة . فعلينا كقادة تتجه الينا الانظار ان نجتهد في جعل سيرتنا مطابقة لعقيدتنا . كلٌّ يدعي ان لهُ العقيدة الصحيحة ويجاهر في ذلك ولكن المبادئ الصحيحة لا تتضح للآخرين بفصاحة الالفاظ وضبط القضايا المنطقية بل تتجلى بسيرة تابعيها . وقد ورد في الحديث ان « الدين المعاملة » وقال يعقوب في رسالتهِ « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه . افتقاد اليتامى والارامل في ضيقهم وحفظ الانسان نفسهُ بلا دنس من العالم »

خاتمة

في تربية الاولاد البيتية

مرَّ معنا الكلام في ما سبق من الابواب عن تربية التلميذ المدرسية وعن واجبات الاساتذة في تأدية هذه الخدمة الهامة . وقد احببت في الختام ان اضيف الى ذلك ملحقاً وان كان لا علاقة لهُ مباشرة في هذا الموضوع فهو اساس بل درجة يرتقى عليها لبلوغهِ اعني « تربية الولد البيتية » التي هي من واجبات الوالدين البحتة

كلنا نسلم بوجوب تربية الولد البيتية ونعلم حقَّ العلم باهميتها وفوائدها ولذلك لا ارى لزوماً للافاضة في ذكر النتائج الصالحة المتأتية عنها اذا حسنت والعواقب الوخيمة الناجمة اذا ساءَ امرها . ولهذا اقصر كلامي على بعض الاساليب التي اختبر المربون فائدة الجري بموجبها . وعليهِ ساتكلم عن الولد في اربع حالات (١) الولد قبل ان يولد (٢) الولد في البيت (٣) الولد بين عشرائهِ (٤) الولد في المدرسة

الحالة الاولى

الولد قبل ان يولد

هذه العبارة فيها شيءٌ من الغموض لانهُ كيف يمكننا ان نربي الولد وننظر في امر تهذيبهِ قبل ولادتهِ ؟ فايضاحاً للمراد بهـا نقول : ان حقيقة تربية الولد الاساسية متوقفة على الوالدين ولذلك يمكننا اذا كان الوالدان صالحين حكيمين ان نتنبأ انهما يربيـان اولادهما تربية صالحة . فهذا الامر عظيم الشأن بل هو الركن الذي توَسس عليهِ تربية الاولاد قال الشاعر

الابن ينشا على ما كان والدهُ ان العروق عليها ينبت الشجرُ

فيا ايها الشاب عليك ان تهذب نفسك وتعتني في صحة جسمك وإنارة عقلك وتقويم مناهج سلوكك وحسن تصرُّفك . فاذا أركنت الى ذاتك انك سائر في هذه السبل القويمة واردت بناءَ بيت جديد وتأليف أُسرة تقرّ بها عيناك فعليك ان تختار رفيقةً لحياتك من الفتيات المتحليات بمثل هذه الصفات

لاتخطبنّ سوى كريمة معشرٍ فالعرق دساس من الطرفينِ

او ما نظرت الى النتيجة انها تبعُ الاخسّ من المقدمتين

فان الاعتماد في تهذيب الولد هو على المرأة اكثر منهُ على الرجل لانها العشير الملازم لهُ فيرضع من اخلاقها كما يرضع من لبنها . قال احد الافاضل « اهمّ موثّر في تربية الاولاد كون الامهات مهذبات فاضلات تقيات حكيمات فاذا راجعت سيرة المشاهير في العلم والفضل والشرّ ترى امهاتهم على هذه الصفات » . ونحن اذا نظرنا في هذا الامر جدّ النظر نكون قد سعينا في وضع اساس ثابت في بناء تربية الولد قبل ان يولد

الحالة الثانية

الولد في البيت

البحث الاول

قرن التربية الاخلاقية بالجسدية

تنصرف عناية الوالدين حال ولادة الولد الى الاهتمام بامور صحتهِ وهذا ضروري وواجب اولي تدعمهُ العاطفة الطبيعية في الوالدين . والوالدان الحكيمان يعرفان الوسائل التي تأول الى سلامة ونموّ الطفل المحبوب ويجريان بموجب القوانين الصحية في كل طور من اطوار الطفولة والحداثة . وافضل هذه الطرق في معاملة الولد ما كانت بسيطة قريبة من المطالب الطبيعية . وحين يعترض في سبيلهما امرٌ غامض يعتمدان طبيباً حاذقاً خبيراً ويعملان بارشاداتهِ مبتعدين عن استشارة ووصفات عجائز الحي الفضوليات اللواتي ضرّهنّ اكثر من نفعهنّ

وقد تجد من الوالدين من يلازمهم قلق البال من جهة صحة اولادهم وتساورهم الهموم اذ يتخيلون الاخطار محيقةً بهم ان قاموا او قعدوا ان غابوا او حضروا فيتصور لهم المرض اذ لا مرض والخوف

حيث لا خوف فاذا اصابهم صداع بسيط حسبوهُ مرضاً عضالاً الى ما هنالك من الوساوس والاوهام . ان افكاراً مثل هذه تذهب براحة الوالدين . نعم عليك ان تحافظ وتعتني جهدَ طاقتك ولكن لا تحمل نفسك هموماً اكثر من اللازم . فعليك ان تتصرَّف بالحكمة والتعقل

هذا من جهة الصحة الجسدية واما من جهة الآداب والسلوك فيجب ان لا يذهل الوالدون عن النظر في تربية الاخلاق الفاضلة والعادات الجيدة في اولادهم من زمن الطفالة . وربما لا يكترث بعضهم لهذا النوع من التربية زاعمين ان الولد متى كبر يميز لنفسهِ الخير من الشرّ فيتبع الاول و يتجنب الثاني غير عالمين ان « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » . وقد خفي عنهم قول الشاعر

ان الغصون متى قوّمتها اعتدلت ولا تلين متى صارت من الخشب

وقول الآخر

عوّد بنيك على الآداب في الصغر كيما تقرّ بهم عيناك في الكبرِ

ولسوء الحظ نرى بعض الوالدين اخصّ ارباب الاشغال المهمة والمناصب الرفيعة والواجبات المتراكمة يشغلهم الاهتمام بواجباتهم في الحقول والبيوت والمتاجر والمكاتب والمنابر والمعابد عن تهذيب اولادهم اكمل تهذيب . كثيرون ينهمكون في خدمة وافادة الآخرين وقد

يجيدون في ما يعملون ولكنهم يتخذون من ذلك عذراً لانفسهم ان لا وقت لهم لتهذيب اولادهم فيكلون الامر الى سواهم طبق قول صاحب نشيد الانشاد « جعلوني ناطورة الكروم واما كرمي فلم انطرهُ » . فاذا تصرّفوا هكذا يرون النتيجة حسب قول الشاعر

ومن رعى غنماً في ارض مسبعةٍ ونام عنها تولى رعيها الاسدُ

هذا وقد اشترط في اختيار خدَمة الدين ان يكونوا قد ربوا اولادهم تربيةً حسنة لانهم اذا قصّروا في هذا فهم مقصرون بالطبع في خدمة رعيتهم . انظر (١ تي ٣:٤ و ٥)

ولا ننسَ وجوب الاتفاق بين الزوجين في الخطة التي يتبعانها في تربية اولادهما لانهُ اذا شدّ الرجل الى جهة وامرأتهُ الى جهة اخرى ذهب الولد في النتيجة بين الجهتين فتسوءُ طباعهُ وتفسد اخلاقهُ وقد يتخذ من عطف الواحد ذريعةً لعصيان الآخر

البحث الثاني

وسائل عملية في التربية

(١) التعليم بالمثال — ان اولادك يتعلمون من حركاتك وسكناتك اكثر مما يتعلمون من نصائحك وارشاداتك . فتصرّف معهم وامامهم احسن تصرُّف . وعليك ان تعامل الواحد منهم كما تعامل شخصاً غريباً واعمل معهُ كلما تريد ان تغرسهُ فيهِ من حسن المبادىء فاذا قضى لك غرضاً فاشكرهُ كما تشكر الشخص الغريب واذا ظلبت منهُ امراً من الامور فخاطبهُ بمحبة ورقة ولطف . وحين تعامل انساناً آخر امامهُ ان كان من اهل البيت او شخصاً غريباً فافطن ان هذا الولد الصغير يراقبك بعينيهِ واذنيهِ ليقتبس منك شيئاً جديداً فكن امامهُ كما تريدهُ ان يكون امامك . والاَّ فاذا نشأَ الولد في بيئة فاسدة وجوٍّ مشبع بالعادات السافلة تأَثر بفساد محيطهِ . وبكل اسف نرى بعض الوالدين يتساهلون بل يظهرون السرور بكلام واعمال اطفالهم المغايرة للآداب فهل يسوغ لنا ان نلوم الاولاد بعد ذلك على سوء اخلاقهم

اذا كان ربّ البيت بالدفِّ ضارباً فلا تلم الاولاد فيهِ على الرقصِ

(٢) التمرين على الاعمال — عوّد ابنك على محبة العمل ايًا كان وكلفهُ بما يستطيع عملهُ من الاشياء البسيطة فان الصغير يفرح حينما يرى نفسهُ قادراً ان يعمل شيئاً نافعاً . لا ازال اتذكر صورةً تمثل نوتياً في قاربهِ و بيدهِ مجذاف وطفلهُ بجانبهِ ماسك المجذاف ايضاً و يعمل بهِ مع ابيهِ وهو مسرور لظنهِ انهُ يخفف شيئاً من تعب ابيهِ . ومن المفيد ان يعطى للصبيان بعض الاعمال البسيطة المختصة بالرجال وللبنات الاعمال المختصة بالنساء . وليس من الضروري ان تكون دائماً اعمال الصغار ذات فائدة في نظر الكبار اذ يكفي ان يتمرّنوا بواسطتها على محبة العمل والذوق في الترتيب

(٣) تمرين الذاكرة في الاستظهار — اذا اردت ان يستظهر ابنك بعض المختارات البسيطة القريبة من فهمهِ فاجعل ذلك بطريقة الاذن بان تتلوها على مسمعهِ مراراً فلا يلبث حتى يتلقنها منك ويحفظها . هذا اوفى واسهل مما ان تكتبها لهُ وتعلمهُ قراءتها ثم تكلفهُ باستظارها

(٤) تلقين العلوم الابتدائية بطريقة العين واليد قدر الامكان — اذا قصدت ان تلقن ابنك بعض المعارف البسيطة في السن الموافقة لذلك فاحسن طريقة ان تعمل امامهُ وتجعلهُ هو ان يعمل بيديهِ ما يتوصل بهِ الى المعرفة . فخذهُ مثلاً الى الشاطئ ومثل امامهُ على الرمل بعض الحقائق الجغرافية برسوم واشكال واضحة . واذا قصدت تعليمهُ

ما يتعلق بالاعداد فاعطهِ موادَّ كالحبوب والاثمار ونحوها وعدّها امامهُ وارهِ بعض الصور واسألهُ عن اسماء اجزائها . فالعين واليد اقرب الحواس لايصال المعرفة الى عقل الصغير . قال بعض المربين « ان الولد يتعلم في الست السنين الاولى من عمرهِ مثل ما يتعلم في ست سنين في احدى الجامعات في كبرهِ »

البحث الثالث

وسائل ادبيـــة

(١) الارشاد الى الفضيلة بقص سير الفضلاء — ان محادثة الاولاد بسرد القصص توصل المطلوب الى اذهانهم باخصر طريق والذ اسلوب . فاذا قصدت تقرير احدى الصفات الفاضلة في عقل ولدك فلا تكتفِ بقولك هذا حسن فاتبعهُ وذاك قبيح فاجتنبهُ بل قصَّ عليهِ قصةً حقيقيةً او مثلاً موضوعاً يكون مغزاهما الترغيب في الفضيلة والتنفير من الرذيلة . وهذا ينبهنا الى الضرر الناجم من تسليم الاولاد الى مربية جاهلة تحدثهم بقصص مخيفة ترتعد لهولها فرائصهم اذ يتمثل فيها القتل والظلم وسفك الدماء والمخاطر المريعة ووجود الاشباح والخيالات في الظلام وبجوار القبور وعلى مجاري الماء .

فامثال هذه القصص تجعل الولد جباناً رعديداً يفرق من خياله وتبعده عن الشجاعة والطمأنينة . ولنا مخازن مشحونة من القصص المفيدة في الكتب الدينية والادبية مما تلذّ للاولاد فضلاً عن الاستفادة منها

(٢) التأثير بالملاطفة والاقناع — لا يوافق ان تلجأ دائماً الى الشدة والصرامة طالما في امكانك ان تؤثر بالملاطفة والاقناع العقلي لان البشاشة وعواطف المحبة مع الحكمة لها تأثيرها الحسن في عقول الاولاد . أحزن حين أرى بعض الوالدين يتوهمون ان حفظ مهابتهم يستدعي ان يعبسوا دائماً في وجوه اولادهم . مسكين ذلك الوالد الذي يفتخر انهُ لا يقبل ابنهُ الا وهو نائم . وما اتعس حظ ذلك الولد الذي لهُ اب هذه صفتهُ . عرفت ولداً من هذا النوع كان يقول اني اكره ان اواجه ابي لانهُ لا يستقبلني الا متجهماً ولا يكلمني الا عابساً . كان لاحد المعلمين تسعة اولاد وهو فقير يتحمل التعب لاعالتهم ومع ذلك كان يسر كثيراً برؤيتهم . فزارهُ رجل من ذوي اليسار واذ رأى كثرة الاولاد وحركاتهم قال لصاحب البيت مسكين انت يا صاحبي ان هذه اكبر لعنة وقعت عليك بكثرة الاولاد المتعبين . فاجابهُ الاب : « لا تقل لعنة يا صاحب هولاء اكبر بركة لي فانهم اولاد مطيعون بكل رضا لارادتي و يسرني ان ارى حركاتهم فرحين . فاجابهُ الزائر ان لي

ولدين لا غير هما آلة لتعذيبي اذ يعصيان ارادتي »—فالملاطفة والطاعة بهجة الاسرة

(٣) الصدق في المعاملة— في حالتي الوعد والوعيد ليرسخ في ذهن ابنك انك تقصد اتمام ما تقولهُ . وهذه الثقة تريحك وتريح الولد وتفيدهُ في مستقبل حياتهِ . فان الولد يتحوّل عن عنادهِ ويثق بانك تعني ما تقولهُ تماماً . زار سفيرٌ احد رؤَساء الولايات المتحدة الاميركية وكان ابن الرئيس عند ابيهِ فقصد السفير ملاطفة الولد فدعاهُ اليهِ ولكي يغريهُ بالمجيء وعدهُ بان يعطيهُ سلسلة الساعة الذهبية فاتى الولد اليهِ ولقي كل مؤَانسة ولطف ولكن السفير لم يعطهِ السلسلة فبقي الولد واقفاً ولم يعلم السفير سبب اطالة وقفتهِ الى ان نبههُ الرئيس بقولهِ ان الولد ينتظر ان تتم وعدك باعطائهِ السلسلة الذهبية لانهُ ما اعتاد ان يوعد ولا يوفى الوعد فخجل السفير من هذا التوبيخ اللطيف— وكان ولد يلعب بجانب بيت ابيهِ مع بعض الرفقاء فدعتهُ امهُ ليأْتي الى البيت لقضاء بعض الاشغال واذ لم يلبِّ الطلب توعدتهُ بالضرب الشديد فشفق عليه رفقاؤُهُ وقالوا لهُ أَسرع الى امك والا حاق بك الويل فاجابهم انتم لا تعرفون امي مثلي فانها تقول ولا تفعل . مسكينة هذه الام الجاهلة التي فقدت ثقة اولادها بكلامها

(٤) عدم المحاباة — لا تحابِ في تفضيل بعض الاولاد على البعض الآخر واذا راجعت قصة محاباة يعقوب بتمييزهِ يوسف ابنهُ على سائرِ اولادهِ تعلم ما نجم عن ذلك من الحقد والبغضاء . واياك ان تجعل تمييزاً في المعاملة بين الصبيان والبنات كما أَلف ذلك بعض الشرقيين فما اجهل الام التي تقول لابنتها «يكسر يديكِ يامقصوفة العمر لماذا رفعتها على اخيكِ» بينما تقول لابنها «الله يسلم يديك ويحفظ قامتك يا نور عيني» . فمعاملة مثل هذه تضر بالصبي وبالابنة معاً فضلاً عن انها منافية لاصول التربية الصحيحة

ولنختم هذا البحث بابيات في تربية الاولاد نظمها الشاعر الاديب ابو الحسن الكستي قال

فينبغي تربية الاولادِ ... بحكمةٍ من زمن الميلادِ
بان يكون نومهم مرتبا ... مقتصدين ما كلا ومشربا
ولبسهم بحسب الفصولِ ... مناسباً لهم على الاصولِ
ولازم لهم ازالة الدرنْ ... من كل ثوبٍ ومكانٍ وبدنْ
اذ قيل في نظافة الابدانِ ... والثوب والمكان عمر ثاني
وان يعوَّدوا على الكمالِ ... حتى ينالوا احسن الخصالِ
وليس يحكى في حضور الولدِ ... سرٌّ فيفشيهِ ولا قول ردي

ولا يريهِ احد تخويفا كي لا يكون عقلهُ خفيفا
كالغول والجن وشبهِ الافعى مما يهول نظراً وسمعا
لكنما يحكى لهُ في صغرهِ كل الذي يفيدهُ في كبرهِ
فالمرءُ في الدنيا على ما اعتادا يسري صلاحاً كان او فسادا

الحالة الثالثة

الولد بين عشرائه

تكلمنا عن وجوب الانتباه للولد وهو في البيت بين اهلهِ . ولكن مهما كانت اغلاط الوالدين في تربية بنيهم فانهم يبقون مخلصين يريدون لهم الخير وان جهلوا احياناً الطريقة المؤدية الى إنالتهم اياهُ . ان الخطر الاكبر على الولد يكون حينما يبتعد عن نظر والديهِ . حينما يختلط برفقاءَ من اترابهِ الذين تحلو لهُ معهم العشرة ويميل طبعاً الى مرافقتهم ومماثلتهم واللعب معهم . وليس لهُ من قوة التمييز ما يمكنهُ من معرفة الخير من الشرّ ليختار من يعاشر من الصالحين ويتجنب من يخشى عدواهُ بسوءِ اخلاقهِ . وهو في صغرهِ مثل الشمع اللين قابل الانطباع بأي شكل كان . ولهذه الاعتبارات يجب على الوالدين ان لا يسمحوا

لا بنهم ان يماشي عشراءَ السوءِ لانهُ بعشرة يوم واحد يفسد عليهم تهذيب شهر . قال بولس الرسول لاهل كورنثوس « لا تضلوا . فان المعاشرات الردية تفسد الاخلاق الجيدة » وقال الشاعر

واحذر موَاخاة الدنيِّ فانهُ يعدي كما يعدي الصحيحَ الاجربُ
واختر صديقك واصطفيهِ تفاخراً ان القرين الى المقارن ينسبُ

والقدوة توَثر في الكبير فكيف بنا اذا تعرَّض لها الصغير فانهُ بسهولة يقتبس الالفاظ القبيحة والعادات الباطلة

بعض الوالدين يضجرون من جلبة اولادهم فيرتاحون الى خروجهم من البيت تخلصاً من حركاتهم وضوضائهم ولكنهم اذا لم يلاحظوهم اين يذهبون ومن يعاشرون يسببون لانفسهم ولاولادهم اضعاف الاتعاب التي ظنوا انهم يتخلصون منها باقصائهم عنهم . ويعسر عليهم بعدئذٍ تقويم ما اعوجَّ من سلوكهم . قال الشاعر

عن المرءِ لا تسأَل وسل عن قرينهِ فكل قرينٍ بالمقارن يقتدي

وقال آخر

فلا تصحب اخا الجهلِ واياكَ واياهُ
فكم من جاهل أَردى حليماً حين آخاهُ

انني لا اقصد بما أَدليت بهِ من البراهين ان يسيج الوالدون حول

اولادهم او يضعوهم ضمن قفص من حديد لا يخرجون خارجاً بل ان لا يغفلوا عن مراقبتهم وينتقوا لهم العشراء الصالحين لئلا يقعوا في اشراك اولاد الازقة الفالتين . ولنفرض انك ايها الوالد قدرت ان تصون السنة اولادك من النطق بالفاظ السفاهة هل باستطاعتك ان تصون آذانهم عن سماعها ؟ قال الشاعر

وسمعك صن عن كلام القبيح كصون اللسان عن النطق به

فالطوبى ليس فقط للرجل بل بالاحرى للولد « الذي لم يسلك في مشورة الاشرار وفي طريق الخطاة لم يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس » ومن ملاعب السفهاء لا يدنو بل يفرُّ من هولاء جميعاً فراره من الافعى

الحالة الرابعة

الولد في المدرسة

لا اقصد بكلامي ارسال الاولاد الى المدرسة ليتعلموا مع ان هذا واجب في الوقت المناسب . ولا اختيار المدرسة المشهورة بحكمة اساتذتها وآداب تلامذتها فان ذلك لا يخفى على بصيرة الوالدين المستنيرين الذين يهمهم صالح اولادهم . ولا اعني كيفية سلوك الولد في المدرسة فان لذلك مقاماً غير مقامنا هذا المحصور في « تربية الولد البيتية » ولذلك اقصر كلامي على العلاقة الكائنة بين الوالدين والمدرسة من جهة سياسة الولد ونجاحهِ في دروسهِ فاقول : ان بعض الوالدين يتطرّفون الى الجهة الواحدة وغيرهم الى الجهة الاخرى فترى الاولين يخاطبون الاستاذ على مسمع من ابنهم قائلين : ان هذا الولد لم يبقَ ابننا قد صار ابنك تصرف بهِ كما تشاء لك الجلد ولنا العظم . فماذا تظنون تكون حاسات ولد دخل حديثاً الى المدرسة فوجد نفسهُ بين ابيهِ ومعلمهِ يقتسمان جلدهُ وعظمهُ ؟ فاما انهُ يصدّق ما يسمع ويا هول هذا التصديق واما انهُ يحسبهُ كلاماً في كلام كلهُ من قبيل التهويل فيذهب

ادراج الرياح . ارى انهُ لا لزوم لمثل هذا التشديد اذ يكفي ان توصي المعلم بابنك خيراً

ولكن مهما انتقدنا ابًا عندهُ مثل هذا التطرُّف فانهُ لا يضرُّ مثل الوالدين الذين هم من الفئة الثانية . فانهم متى عاد ابنهم من المدرسة الى البيت يشكو ضيماً أَلحقهُ بهِ المعلم او بعض التلاميذ ان كان بسبب السلوك او الدروس فياخذ هذا الولد في بيان التحامل والتعدي والمحاباة ملفقًا دعاوي ما انزل الله بها من سلطان لستر جريمتهِ او قصورهِ امام والديه ولا سيما اذا صحب ذلك احيانًا ذرف العبرات . فالوالدون المغفلون تجوز عليهم الحيلة لغلبة العواطف الوالدية فيحسبون كل حرفٍ من كلام ابنهم منزلاً وبالنتيجة يصدرون فوراً حكمًا غيابياً مبرمًا على المعلم والمدرسة انهما مجرمان وقد وقع الجور على ابنهم . وربما زاد تغفلهم ففاهوا بكلام غير لائق بحقهما وقد يتصل الشرّ الى اهل الاولاد الآخرين اذا كان لهم علاقة بالامر . واذا طفح كاس غيظهم يقوم الوالد او الوالدة فيذهبان الى حيث يقابلان المعلم و يشبعانهِ لومًا وخصامًا مبررين ابنهما المحبوب من كل ذنب وشائبة . وهذه الطريقة ارانا الاختبار الطويل انها تفسد الاولاد ايَّ فساد وتضرّهم في دروسهم وسلوكهم بل في مستقبل حياتهم ايضًا

اما الوالدون الحكماء فانهم في مثل هذه الحالة لا يسرعون في

اصدار الحكم حتى يقابلوا المعلم و يقفوا منهُ على جلية الواقع . وعلى فرض انهم وجدوا شيئاً من اللوم على المدرسة فانهم يحفظون ذلك بينهم وبينها و يغضدون المعلم في اتخاذ افضل الذرائع واحسن الوسائل لتهذيب وتربية ابنهم . وهم الرابحون بتصرّف الحكمة هذا . بخلاف ما اذا اشاعوا مذمة المعلم والمدرسة بينما يكونون هم وابنهم احقّ بالملامة

وكثيرون من الاولاد هجروا المدارس وخسروا علومها وتهذيبها من عدم حكمة والديهم في ملافاة حوادث قد تكون بسيطة عادية طرأت لاولادهم في المدرسة . والطامة الكبرى بل المصيبة العظمى انهم اذ يهجرون مدارس التهذيب ينتقلون الى مدارس التخريب مدارس الازقة التي شأنها غير شأن مدرستهم الاولى المشكوّ من ادارتها وتهذيبها . في هذه المدرسة الزقاقية البكاء وصرير الاسنان عاجلاً لهولاء الوالدين وآجلاً لاولادهم المساكين

فهرس

	صفحة
اهداء الكتاب	٣
ديباجة الكتاب	٤
تمهيد في التهذيب المدرسي	٥
الفصل الاول – في ان التهذيب اساس الترقي	٥
„ الثاني – اعتراضات على حالة التهذيب الحاضرة والنظر فيها	٧
الفصل الثالث – يقظة تهذيبية مباركة	١٠
„ الرابع – فوائد التهذيب لذاته	١١
القسم الاول – في المعلم وصناعة التعليم	١٤
الباب الاول – في ادوار التعليم الثلاثة	١٤
الفصل الاول – دور الانحطاط	١٥
„ الثاني – دور التحسين المشوَّش	١٨
„ الثالث – دور التنظيم	٢١
الباب الثاني – مقام صناعة التعليم	٢٢
الفصل الاول – نظر الناس الى هذه المهنة	٢٢
„ الثاني – نظر المعلم نفسه اليها	٢٣
„ الثالث – مقام هذه الخدمة في نفسها	٢٥
الباب الثالث – الاستعدادات التي توَّهل المعلم لهذه الخدمة	٢٧
الفصل الاول – الاستعدادات الطبيعية	٢٧
„ الثاني – الاستعدادات الاكتسابية	٢٩
„ الثالث – الاستعدادات الادبية	٣١

صفحة

الباب الرابع – ممارسة خدمة التعليم ٣٤
الفصل الاول – محبة المعلم لهذه الخدمة ٣٤
" الثاني – حسبانها عملهُ الخاص ٣٥
" الثالث – جودة الاسلوب ٣٧
" الرابع – اتفاق المعلمين ٣٨
" الخامس – تبادل المحبة مع جميع التلاميذ ٣٩
الباب الخامس – العلاقات الخارجية التي تساعد الاستاذ
في خدمته ٤١
الفصل الاول – علاقتهُ مع اهل التلاميذ ٤١
" الثاني – علاقتهُ مع سائر الناس ٤٣
" الثالث – علاقتهُ مع خالقهِ ٤٤
القسم الثاني – انواع التربية المدرسية ٤٧
الباب الاول – التربية الجسدية ٤٧
الفصل الاول – اهمية الصحة في المدرسة ٤٧
" الثاني – ما على المدرسة من جهة الصحة ٥١
" الثالث – ما على التلميذ ٥٤
" الرابع – ما على المعلمين ٥٩
الباب الثاني – التربية العقلية ٦٢
الفصل الاول – قيمة العلم وعموميتهُ ٦٢
" الثاني – تعيين التلميذ في الصف ٦٤
" الثالث – الدرس وتحصيل المعرفة ٦٥
" الرابع – التسميع ٦٩
البحث الاول – الادارة ٦٩

صفحة

البحث الثاني – الطريقة ٧٢
" الثالث – السؤالات ٧٤
" الرابع – العلامات والمكافآت ٧٦
الباب الثالث – التربية الادبية ٧٧
الفصل الاول – الكمال الادبي ولزومهُ ٧٧
" الثاني بعض مبادىء عامة في التهذيب المدرسي ٨١
" الثالث – حفظ النظام ٨٤
" الرابع المجازاة والمكافآت ٨٦
" الخامس – عوامل اخرى تهذيبية ٩١
الباب الرابع – التربية العملية ٩٥
الفصل الاول – اهمية العمل لذاته ٩٥
" الثاني افتقار بلادنا الى عمال اشد منه الى علماء ٩٧
" الثالث – موقف مدارسنا ازاء هذا الموضوع ١٠٠
" الرابع – بعض وسائل التمرين العملي في المدارس ١٠٣
الباب الخامس – التربية الروحية ١١٠
الفصل الاول – الدين رابطة التماسك ١١٠
" الثاني – خلاصة الفلسفة الدينية ١١٢
" الثالث – قوة العامل الديني ١١٤
" الرابع – العقبات التي في سبيل الدرس الديني وتمهيدها ١٦١
" الخامس – تجنب العثرات ١١٩
خاتمة – في تربية الاولاد البينية ١٢١

صفحة

الحالة الاولى – الولد قبل ان يولد ١٢٢
" الثانية – الولد في البيت ١٢٤
البحث الاول – قرن التربية الاخلاقية بالجسدية ١٢٤
" الثاني – وسائل عملية في التربية ١٢٧
" الثالث – وسائل ادبية ١٢٩
الحالة الثالثة – الولد بين عشرائهِ ١٣٣
" الرابعة الولد في المدرسة ١٣٦

AUB LIBRARY

DATE DUE

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00352888